كما لو أنّ الشيء الأساسي ينبغي أن يأتي أولاً

حول دور الدين في المجتمع الحديث

الدكتور : رولف فيغرسهاوس

ترجمة : أ. حسن صقر

بعد مرور أقل من عام واحد على أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م، التي حوّل فيها انتحاريون معبؤون دينياً طائرات مدنية إلى أسلحة ضد قلاع الرأسمالية العسكرية للحضارة الحديثة الغربية، حصل حادث جدير بالتفكير، وهو من طبيعة مختلفة. في صيف ٢٠٠٢م سافر الفيلسوف الألماني وعالم الاجتماع يورغن هابرماس لمدة أسبوع إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهناك تكلّم في مدرج جامعة طهران على (العلمانية في مجتمعات الغرب ما بعد العلمانية). وكان بسفره هذا يلبي دعوة من (مركز حوار الحضارات) الذي أسّسه رئيس الجمهورية الإيرانية السابق محمد خاتمي.

وكان هابرماس منذ أكثر من عقدين من الزمن، وبمناسبة فوزه بجائزة ثيودور د. أدورنو لمدينة فرانكفورت على نهر الماين، قد أجاب شاكراً بخطبة حول (الحداثة - مشروع غير مكتمل)، أو بالأحرى بمحاضرة منهجية استقاها من وعيه

المكتمل حول جدل التحديث. وأيضاً عندما تلقى بعد وقت قصير من أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر في كنيسة بولس في فرانكفورت جائزة السلام لتجارة الكتب الألمانية، ذكر من قبيل الوعي الذاتي: «بأننا نواجه أخطاراً علمانية منحرفة برؤية صحيحة فقط عندما نكون على درجة من الوضوح حول ماذا تعني العلمانية في مجتمعاتنا ما بعد العلمانية»[١]. في مسار هذه الخطبة اعترف بأنه ينتمي إلى «ذوي الآذان غير الموسيقية دينياً». وبذلك سار بهذه الانعطافة على خطا زميل له هو ماكس ڤيبر؛ الذي شخَّص قبله بقرن من الزمن مسيرة انتصار الحداثة الغربية بوصفها سيرورة عقلنة ونزع أسطرة تتماشى مع خسارة معنى وخسارة حرية. وفي رسالة منه يقول ڤيبر بأنه ليس ضد الدين، كما أنه ليس لا دينياً، وإنما «لا يحوز مطلقاً فيما يخص الدين على أذن موسيقية».

لقد أعلن ماكس ڤيبر بهذه الطريقة أنه كل شيء ما عدا أن يكون له موقف اللامبالاة أو موقف التبخيس مقابل الدين أو مقابل المؤمنين. في رسالته يواصل حديثه فيقول: «إنني أشعر إزاء نفسي كأنني مشوّه، كأنني شخص مقطّع الأوصال، ومصيره الداخلي هو أن يرضى بوجوب أن يعترف

(١) جائزة السلام لتجارة الكتب الألمانية، ٢٠٠١م، يورغن هابرماس، أحاديث بمناسبة تقديم الجائزة ٢٠٠٣م، ص٣٩.

صادقاً بذلك، وألا يقع بذلك فريسة الدوار الرومانسي»[١].
من المتوقع أن هابرماس لن يعبر بهذه الطريقة القاطعة، ولربما كانت هذه الطريقة القاطعة في التعبير غير مناسبة لتشخيص زمنه ولتشخيصه شخصياً، لكن بالتأكيد من حيث إنه تبنّى بصورة لافتة التوصيف الذاتي الذي صاغه ڤيبر، يعترف، وهو منظر العقل التواصلي، بأن معنى شيء ما بالغ الأهمية ينقصه. والمرء يجد، ليس فقط في الأعمال الحديثة، وإنما في الأعمال المبكرة فقراتٍ من مثل: «العقل التواصلي لا ينتج نفسه في نظرية صارت بالإجمال بوصفها النفي الحيادي للأديان المانحة للعزاء. وهو لا يعلن عن انعدام العزاء في عالم غادره الله، كما لا يدعي بأنه يقدم أي عزاء. وهو يتنازل عن الحصرية، مادام العقل في وسيلة الخطاب المؤسس بالنسبة إلى ما يمكن أن يقوله الدين، لا يجد كلمات أفضل، من أن عليه أن يتعايش مع هذا الدين بحيادية دون أن يدعمه أو يقاومه»[٢].

---

(١) رسالة إلى فرديناند تونكس، ١٩ شباط/ فبراير ١٩٠٩م، في: مجموع أعمال ماكس فيبر، قطاع II، مجلد ٦ رسائل ١٩٠٩ - ١٩٧٠م، توبنغن، ١٩٩٤م، ص٦٥.

(٢) يورغن هابرماس: وحدة العقل في تعدد أصواته، في الفكر ما بعد الميتافيزيقي، مقالات فلسفية، فرانكفورت على الماين، ١٩٨٨م، ص١٨٥.

البلاد التي جاءها الزائر من الغرب، كانت منذ أكثر من عقدين من الزمن دولة كبيرة، وقبل ذلك كان لها وجه آخر. كانت حكومة مصدَّق الوطنية اليسارية مدعومة بصورة حذرة من قبل علماء الشيعة. في زمن نظام الشاه الذي حافظ على السلطة بدعم من الولايات المتحدة الأميركية، وبفضل بعض إجراءات التحديث من جهة، وبفضل الإرهاب والتعذيب من جهة ثانية، تعرّض رجل الدين (آية الله الخميني) الذي قاد المعارضة في البداية، للاعتقال، وبعد الحوادث الدموية والاحتجاجات الجماهيرية ١٩٦٤م للنفي، فتحول إلى رمز المقاومة ضد الملكية الاستبدادية المحتفى بها في وسائل الإعلام الغربية. المقاومة التي اشتدت حدّتها في خريف وشتاء ١٩٧٨ - ١٩٧٩م دعت الخميني إلى العودة إلى طهران، حيث خلق هو وتابعوه حقائق حاسمة، مما مكَّنه بعد تصويت شعبي في ١/ ٤/ ١٩٧٩م، حيث دار الاختيار بين الملكية المطلقة وبين الحكم الديني، من أن يعلن الجمهورية الإسلامية. أما الدستور المصادق عليه نهاية ١٩٧٩م تقريباً، فقد اعترف للقائد الديني بالسلطتين الدينية والسياسية المطلقتين، ومنها الإشراف على رئيس الجمهورية والحكومة، وتعيين نصف مجلس الإشراف الذي يراقب توافق الدساتير مع الشريعة الإسلامية. في الجمهورية الإسلامية الإيرانية يستطيع المرء أن يرى حالة نموذجية

تحاول إيجاد طريقة خاصة إسلامية وبعيدة عن الحضارة الغربية للتحقق الذاتي وللتطور، وذلك في هيئة دولة الله؛ أي محاولة يوجد فيها المؤيدون؛ معتدلين كانوا أم راديكاليين، لأسلمة الدولة والمجتمع في صراع فيما بينهم، حيث لا يستحوذ الراديكاليون على مزيد من السلطة فقط، وإنما يضمنون الولاء من خلال مؤسسات دينية يعمل فيها ملايين كثيرة من الناس، ومن خلال قليل أو كثير من الأعمال الخيرية المتواضعة.

خاتمي، الذي هو مؤسس (مركز حوار الحضارات)، ينتمي إلى الأنصار المعتدلين للأسلمة - كان قد هزم بصورة مفاجئة ١٩٩٧م المرشح الراديكالي للإسلاميين، كما حقق في الانتخابات البرلمانية ٢٠٠٠م نصراً للقوى الإصلاحية، لكن في الوقت ذاته عاش مرحلة تحديد سلطته بسبب إجراءات قمعية مستشرية لرجال الدين الأصوليين، وهذا ما خيّب آمال وتطلعات كثيرين ممن كانوا يأملون كثيراً من الإصلاحيين.

في جامعة طهران، حيث تحدث هابرماس ٢٠٠٢م، حصلت في صيف ١٩٩٩م مظاهرات لطلاب ذوي توجّهات إصلاحية، ونتيجة لذلك حدثت اعتقالات بالجملة. بعد عام من زيارة هابرماس انطلقت من طهران احتجاجات طلابية

طولب فيها لأول مرة باستقالة خاتمي، الذي كان قد أُعيد انتخابه ٢٠٠١م بتصويت حاسم بوصفه رئيساً للجمهورية. الزائر من الغرب جاء في لحظة زمنية مناسبة نسبياً؛ فقد كانت علاقات القوة، بالنسبة إلى صراع مفتوح حول متابعة توجه البلاد ملائمة نسبياً، وهو لم يكن يريد أن يُستخدم من الناس الخطأ كي يكون لافتة تدعو إلى قضية خاطئة، ومن جهة ثانية لم يرد أن يحمّل نفسه الذنب الذي دعا الكاتب المصري حامل جائزة نوبل إلى الاتهام والقول: «الغرب يهتم برؤوسنا، فقط عندما تتدحرج».

بعد عودته إلى ألمانية أعطى هابرماس تلخيصاً لما جرى في المحاضرات والمحادثات واللقاءات والحوارات. «في إيران تمنح السلطة العليا وحدها للأقليات الصغيرة، الزرادشتية واليهودية والمسيحية، أي الأديان السابقة للإسلام، حق الممارسة العلنية للدين، أما البهائية فهي ممنوعة حصراً. في الوقت نفسه تفرض على الجميع، وأيضاً المواطنين غير المسلمين وغير المؤمنين نمط الحياة المقرر في الشريعة الإسلامية. وهذا يحرّض السؤال هل الدين لا يستطيع أن يحتفظ بمقدرته المشكِّلة للحياة، عندما يتنازل عن السلطة السياسية؛ أي عندما يتوجه بصورة مباشرة إلى ضمير الفرد، إلى عضو الجماعة المندمج طوعياً، ويمارس

نفوذه السياسي بصورة غير مباشرة فقط، عبر صخب الأصوات للرأي العام الليبرالي»[١].

لقد دارت الأحاديث، قبل كلّ شيء، حول ارتباطات السباق أو حول قابلية نقل النموذج الغربي. أليست التعددية الدينية المؤكدة قانونياً ظاهرة غربية نوعياً؟ هل هي مرتبطة حكماً بشروط نشوئها التاريخية، وهل تقدم حلاً معقولاً لمشكلة تواجه الآن كل المجتمعات بصورة متنامية؟ هل يجب أن تجد حضارات أخرى حلاً مماثلاً بالذات؟

وبذلك يكون هابرماس قد حاضر في إطار حوار ما بين ثقافي بما تصوره من تجربة أوربية، يمكن أن تكون موضع اهتمام في بلد اختُلف فيه حول الدور السياسي للدين. في أوربة أدت الانقسامات المذهبية والحروب الدينية، وأخيراً ترسيخ الدنيوية، إلى أن الاعتقاد الديني اضطر إلى أن يقتنع بدوره اللاحصري في عالم الخطاب، الذي أصبح محدوداً بالعلوم، والذي كان عليه أن يتشارك مع أديان أخرى، وأن يمثّل متطلبات الإيمان الخاصة غير المؤمنة بالنسبية، دون

(١) الغرب يهتم برؤوسنا، فقط عندما تتدحرج الصورة لا تصدق عن مجتمع أخرس: انطباعات عن رحلة إلى إيران، حديث مع يورغان هابرماس، في فرنكفورتر ألغمانيه تسايتونغ، ١٣ حزيران- يوليو ٢٠٠٢م.

الاعتماد على وسائل القوة أو حتى قوة الدولة التي ينتمي إليها. إذا كان كل من الدين والسياسة منفصلين، وإذا تأكدت الحرية الدينية من خلال قوة الدولة الحيادية في النظرة إلى العالم، عند ذلك يستطيع الدين أن يمارس وظيفة هامة؛ لأنه لا يملك القوة لتحقيق نمط حياة مقرّر افتراضياً من قبل عقيدة دينية. الأديان التي تشتمل، في موروثات دينية وفي نصوص مقدسة، على رؤى عن الضلال والهداية، وعن الخلاص الأخير من حياةٍ مَعيشة بوصفها ضلالاً.. تجعلها حية في الذاكرة لأزمنة طويلة، هي ذاتها تستطيع أن تحفظ في إطار الفاعلية، ما ضاع في سيرورة التحديث، أو ما هو مهدّد بالضياع: الحساسية وإمكانية التعبير بالنسبة إلى إخفاق مشاريع الحياة الفردية، وبالنسبة إلى الحياة المخفقة، بالنسبة إلى الأمراض الاجتماعية وعلاقات الحياة المشوّهة.

في هذا الصوغ: «العلمانية في المجتمع ما بعد العلماني»، وضعت معادلة صغيرة يرى فيها هابرماس وسلسلة من مشخّصي العصر الآخرين التحدي والفرصة بالنسبة إلى العلاقة الحالية بين الدين والحداثة. فالضرورة الكامنة في نظرة قائمة على التأمل الذاتي للدين في حدوده تتلوها ضرورة أخرى لنظرة قائمة على التأمل الذاتي لمواطنين علمانيين. «ما دام المواطنون العلمانيون على ثقة من أن الموروثات

الدينية، وكذلك الجماعات الدينية، إنما هي تركة عتيقة تنتمي إلى المجتمعات ما قبل الحديثة تسللت إلى الحاضر، فهم لا يستطيعون أن يفهموا الحرية الدينية إلا بوصفها محمية طبيعية ثقافية للأنواع المنقرضة. من وجهة النظر هذه ليس للدين أحقية داخلية. أما مبدأ فصل الدولة عن الكنيسة فلا يمكن أن يكون له سوى المعنى العلماني للاتمايزية التي لها وظيفة الصيانة. تبعاً لطريقة القراءة الدنيوية نستطيع أن نتنبّأ، بأن الحدوس الدينية سوف تتلاشى في ضوء النقد العلمي، وأن المؤسسات الدينية لا تستطيع أن تصمد إزاء ضغط تحديث ثقافي تقدمي واجتماعي. المواطنون الذين يأخذون مثل هذا الموقف العلمي إزاء الدين، لا يمكن بصراحة أن يفرض عليهم أن يأخذوا جدياً الإسهامات الدينية في الصراعات السياسية، وأن يمتَحنوا في عملية بحث عن الحقيقة قائم على التعاون المضمون، الذي يمكن أن يعبر عن نفسه قدر الإمكان في لغة دنيوية وأن يسوّغ الخطاب المؤسس»[١].

القضية لا تدور حول اقتفاء الأثر الجدير بالتقدير بالنسبة إلى الأهمية الوجودية الممكنة للدين، والذي يُنتظر من المواطنين العلمانيين، وإنما حول: «تجاوز متأمل ذاتياً لفهم ذاتي للحداثة حصري ومتصلب علمانياً»[١]. تطالب رؤيا مواطنين علمانيين، لكي يعيشوا في مجتمع ما بعد علماني، يأخذ بحسبانه - بفضل الوعي النقدي لحدود الأنوار - استمرار الجماعات الدينية، بتحول عقلي ليس معرفياً، أقل تطلباً من تلاؤم الوعي الديني مع متطلبات محيط يتعلمن بصورة دائمة.

«علمانية في مجتمع ما بعد العلمانية»، هذا الصوغ يربط نقد الأصولية الدينية مع نقد الأصولية (العلمانية). (ما بعد علماني) ينبغي أن يطلق على مجتمع لا يستطيع أن يجد خلاصه مع العلمانية، وهذا يعني: بعيداً عن الدين. صحيح أنه يتمسك بمشروع العلمانية، غير أنه لم يعد يرى فيه بالتأكيد مشروعاً مستقلاً تحوّل إلى متحرك بذاته، وفيه لم يعد أي معنى لبقايا التدين، لا بوصفه عقبة ولا بوصفه دعماً، على أنه سيختفي من الوجود عاجلاً أم آجلاً. في المجتمع ما بعد الدنيوي تحقق المعرفة ذاتها، ذلك أنه في رأي عام (حديث) تتغير الطبائع الدنيوية بعد الطبائع الدينية انعكاسياً.

---

(١) مرجع سابق.

وبذلك لا يتراجع دور الدين إلى إسهامه الوظيفي بالنسبة إلى الحفاظ على مواقف مرغوبة أو دوافع، أو تقويتها أو إعادة إنتاجها، ولكنه يفهم بوصفه جزءاً من سيرورة مشتركة لتحقيق دنيوية المجتمع.

«العلمانية في مجتمع ما بعد علماني»، بهذا الصوغ لا تكون العلمانية محددة بوصفها سيرورة إزاحة عالم مكتمل المعنى من خلال عالمٍ خالٍ منه، ولا بوصفها سيرورة التمايز الكامل حيث ينظر إلى الدين على أنه مجال جزئي في وظيفة تعويضية، وإنما بوصفه سيرورة معقدة بنهاية مفتوحة. الحداثة - وهذا يعني حالات متعادلة ومتناقضة أيضاً - حداثة مهددة بأن تضل الطريق؛ لأن الموازنة بين الوسائل الأكثر أهمية في الاندماج الاجتماعي - الأسواق والسلطة الإدارية والتضامن الاجتماعي - لا تسير بشكل صحيح، والأسواق والسلطة الإدارية تضغطان التضامن الاجتماعي؛ أي تنسيق فعل حول القيم والمعايير والاستخدام اللغوي المتجه نحو التفاهم من مجالات حياة متزايدة باستمرار. ومن هنا يكون أكثر أهميةً التعاملُ الثابت مع المنابع الثقافية التي يتغذّى عليها وعي المعايير وتضامن المواطنين، وهذا يتضمن أكثر من رؤية وظائفية للدين. والقناعات الدينية يجب أن تؤخذ جدياً بوصفها قوى محتملة لتصحيح إخفاق حداثة مهدّدة.

عن طريق (حوار الحضارات) أعرب الزائر من الغرب عن الأمل في التفاهم حول هدف تحديث حقق النجاح، وحول التضامن للإعلاء من شأن قوى التشكيل السياسية بسبب ديناميكية غير مسيطر عليها للاقتصاد والمجتمع العالميين.

وقد جاء ارتباك هابرماس، عندما تحدث في طهران زميل إيراني وفيلسوف قائلاً: «المرء يرى الآن بالتأكيد، بأن انطلاقة الحداثة الأوربية تتمثّل بالموازنة مع حضارات عظمى أخرى على أنها الطريق الخاص بها. وحول تحولاتها المرضية يجب على المرء أن يفكر فيها قبل أن يفكر فيما يخص الإسلام»[١]. بصراحة، هكذا يقول هابرماس في مقابلة في ألمانية بعد رحلته إلى إيران، «توجد مقابل الصورة الغربية المشوّهة للشرق صورة مماثلة لإدراك شرقي مشوّه للغرب، أي يوجد (استغراب)». مع هذا المفهوم المقابل لما صاغه عن (الاستشراق) إدوارد سعيد حدّد هابرماس حقيقةً صورة (شرقية) عن الغرب، كما أعاد تكوينها على سبيل المثال يان بوروما وافيشاي مارغاليت في كتابهما (الاستغراب) الذي يظلّ الغرب، تبعاً له، يمثل حضارة منحطة ومذنبة ومحكوماً عليها بالزوال دونما اعتبار

(١) الغرب يهتم برؤوسنا فقط عندما تتدحرج، المصدر السابق.

لإنجازاتها الاقتصادية والتقنية والعلمية، وهذه الحضارة خانت نواتها الدينية وتنازلت عنها، وهي نواة بالإجمال تمّ تجاوزها من قبل الإسلام. هذا الموقف الفكري بدا لهابرماس غير نموذجي بالنسبة إلى الوضع الأكاديمي المنفتح الذي واجهه على نطاق واسع في إيران، ولكن حتى لدى (الإصلاحيين) من بين محاوريه الإيرانيين بقي الأمر بالنسبة إليه غامضاً، مثلاً ما مدى الجدية التي يعلنون بها عن تراجع التعاليم الدينية والجماعات الدينية عن الارتباط بقوة الدولة، وكيف سوف يمثلون (الطريق الثالث) لتركيبة من الغرب والشرق؟ وأي بديل يمكن أن يوجد لذلك، حيث يمارس الدين نفوذه السياسي فقط بصورة غير مباشرة، (عبر صخب الأصوات لرأي عام ليبرالي)، تجد فيه كل الحجج إصغاء بصورة متساوية؛ الديني منها والدنيوي؟ والتجربة الأوربية على كل حال تبدو على الشكل الآتي، حيث إن الدين المسيحي لم يفقد قدرته التدميرية في مسار العصر الحديث لأن المؤمنين (الحقيقيين) و (الجيدين) قد حققوا ذواتهم مقابل (المتعصبين)، وإنما لأن الدين اضطر إلى أن ينسحب من السياسية والعلم، وأن يعد صوته فقط جزءاً من تنظيم صراع قائم على الحجة، علماً بأنه ليس ثمة من حجة في مجال الوحي.

ربما يستطيع المرء أن يقرب المشكلة إلى العيان، وطريقة الحل بصورة نموذجية انطلاقاً من مثال حسي عملي. إن قرع الأجراس من أبراج الكنائس ونداء المؤذن من على المئذنة يدعوان المؤمنين المنتمين إلى العبادة إلى الصلاة، وينظمان مسار اليوم ويقويان هوية الجماعة الدينية المعنية. هل علينا أن نقدر عالياً قرع الأجراس المسيحية بوصفها جزءاً مكوناً موروثاً لثقافة كلية، وفي الوقت نفسه نرفض نداء المؤذن بوصفه إزعاجاً قادماً من ثقافة غريبة؟ علينا أن نوازن بين حقين أساسيين: جوهرية المعتقد الديني؛ أي الممارسة الدينية غير المنتقصة، وعدم المساس بسلامة الجسد. والسؤال يمكن أن يكون التالي: أي انبعاثات ضجيج من جانب المؤسسات الدينية والكنسية سيتقبلها مجتمع دنيوي؟ وإلى أي مدى ستدخل في الخدمة مرجعيات (الكفاية الاجتماعية) و(صلاحية المكان)[1]؟ الأمر المهم هنا إنما هو: أن نعترف بحقيقة التعددية المدركة على مستوى العالم، وأن نقدرها حق التقدير، وفي الوقت نفسه أن نحافظ على الرابطة الاجتماعية للاعتراف المتبادل ونجددها باستمرار. إن مستوى مجتمع ما، حضارة أو نمط حياة؛ كل

(١) كلاوس لغيني /أنغيلا يوست/ ستيفان رِش: صراعات المسجد المفيدة: إشارات الحرية الدينية العملية، في أوراق من أجل السياسات الألمانية والعالمية، رقم ٧، ٢٠٠٢م.

ذلك يقاس أكثر من سوية التقنية والعلم، والاقتصاد، بمستوى تنظيمه الاجتماعي، الذي يمكن معرفته قبل كل شيء عن طريق آليات تنظيم صراعاته.

بأي وسيلة علينا أن نعمل الآن، عندما نتحدث عن دور الدين في المجتمع الحديث، وهذا ينبغي قبل كل شيء أن يعني: دور الأديان في أزمنة العولمة؟

وهنا أريد أن أنطلق من ألمانية كمثال عن طريق استحضار ظاهرات غنية بالدلالة.

هناك يتكون لدى الإنسان الانطباع عن التزامن بين تراجع الأهمية وتزايد الأهمية بالنسبة إلى الدين. تراجع الأهمية ينطبق بالدرجة الأولى على الكنيستين المسيحيتين الأساسيتين: البروتستانتية والكاثوليكية. من خلال إعادة التوحيد بنتيجة انهيار النظام الشيوعي في أوربة الشرقية نشأت دولة بعدد سكان ٨٠ مليون نسمة. لا ينتمي بالتأكيد ثلثا السكان في ألمانية الشرقية إلى أي كنيسة، وعدد قليل من السكان فقط لهم رأي مخالف؛ فهم متدينون بقوة، وفي مقابل بعض التوقعات لم يؤدِّ في ألمانية الشرقية؛ التي كانت قد خضعت للديكتاتوريين النازيين ومن ثم للشيوعية، وطوال عدة عقود مورست سياسة حكومية إجبارية تقضي بنزع المسيحية، لم يؤدّ منح الحرية الدينية بعد إعادة التوحيد

ومعه، إلى زيادة محسوسة في عدد أعضاء الكنيسة، كما لم يؤد الأمر إلى انتشار تعويضي لطوائف ولحركات دينية جديدة. منذ بداية التسعينيات خسرت كل من الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية في ألمانية أكثر من مليون عضو، والانسحابات متواصلة، حتى ولو كانت على نطاق أضيق. في الوقت الحاضر، من مجموع سكان يتجاوز ٨٢ مليوناً تستحوذ كل من الكنيستين على نحو ٢٤ مليوناً من الأعضاء.

تتجلى أهمية خسارة الكنيستين الكبيرتين الاثنتين في مستويات متعددة، وفي أكثر من صعيد. وهنا نلمس بصورة أولية الانسحابات التي ذكرناها من الكنيسة، والشكوى القديمة من العدد الضئيل ممن يحضرون الخدمات الإلهية العادية (الصلوات). إلا أن هناك، وبسبب الاحتفالات الكبيرة مثل عيد الميلاد وعيد الفصح، عدداً متنامياً جزئياً، في الأيام المخصصة للكنيسة، يتدافع الشباب بعشرات الألوف إلى صالات القداديس وخيمها، حيث تتلى مواعظ أو تنتشر أغان دينية أو تعقد الصلوات في الهواء الطلق. هذا التناقض بين الحالة العادية وبين الحدث، بين الروتين والاحتفال ليس جديداً وليس مفاجئاً. بداية، وبالارتباط مع التطورات الأخرى من مثل التركيبة المتغيرة لمن يحضرون الصلوات، تتجلى اتجاهات يمكن أن تكون لها طبيعة التهديد

بالنسبة إلى منظمات (كنيستي الشعب) الاثنتين؛ أي يكون التناسب متغيراً باستمرار فيما يخص الجنس والعمر وما إلى ذلك، مثلاً عندما يرتفع بصورة متواصلة المعدل العام لأعمار من يحضرون الصلوات. ويتجلى فقد أهمية الكنيستين في السياسة والمجتمع من بين أشياء كثيرة في مصير يوم الأحد. إن بقاء الأحد الموقوف للدين حراً من أعمال دنيوية بذاتها مثل حياة العمل وحياة المصالح (الأحد وأيام العطل المعترف بها من الدولة، تبقى بوصفها أيام استراحة من العمل وأيام السمو الروحي وهي محمية بالقانون. هكذا تنص المادة ١٣٧ من دستور جمهورية (فايمار)، وهو ينتمي إلى التحديدات التي أخذت في الدستور الأساسي لجمهورية ألمانية الاتحادية)؛ هذا اليوم تتراجع أهميته يوماً بعد يوم، إضافة إلى أنه يخضع للسلطة العليا العائدة إلى المصالح الاقتصادية ورغبة الاستهلاك.

مثل هذه الاتجاهات يمكن أن تكون علامة على أن الكنائس ينظر إليها بوصفها مسؤولة عن حوادث حدية فقط، وأنها مستهلكة في مثل هذا النوع من الحوادث. وحتى حوادث مثل الولادة والزواج والموت، التي لم تعد حوادث تظهر إلى العلن، صار ينظر إليها بصورة أقل بوصفها حوادث أساسية أو مفصلية، أو غير كاملة دون إطار كنسي أو احتفال

ديني. حتى ما يسمى بالأعمال غير النظامية أو الرسمية تعاني تراجعاً بصورة متواصلة. هذا التراجع يتجلى، على سبيل المثال، لدى البروتستانت الألمان على أشدّه في حالات التعزية، وبدرجة ثانية في حالات التعميد، أما أضعف شيء فيتجلى في حالات الدفن[١]. الأبرشيات تصبح أقل فأقل، وبسبب دخول الضرائب الكنسية المتراجعة، لم يعد من الممكن المحافظة على سوية الدعم عن طريق المؤسسات الكنسية، ولكل ذلك نشأ هبوط حلزوني لدى الطلب المتناقص لعرض كنسي متراجع (تجميع الأبرشيات، تبديل مهمة بيوت رجال الدين، إغلاق حدائق الأطفال، إعفاء العاملين في مآوي العجزة وفي المشافي)، كما أن تخفيض العرض الكنسي سينجم عنه التبرم ونقص في الالتزام الديني. من الواضح أنه تبع هذا التراجع في الأهمية بيع مباني الكنائس أو تغيير وظائفها أو إغلاقها أو هدمها من جذورها، في العقود الثلاثة التي تلت الحرب العالمية الثانية، وبسبب التدمير الذي حصل، وقبل كل شيء التراجع المعمق للتقاليد الغربية، ولاسيما المسيحية منها، التي تعرضت للنبذ والتشويه سنوات الحكم النازي، جرى بناء أكثر من ٨٠٠٠ كنيسة. منذ ذلك التاريخ أصبح بناء الكنائس حالة نادرة.

---

(١) فريدريك فلهم غراف: البروتستانتية، التاريخ والحاضر، ميونخ، ٢٠٠٦م، ص١٠٧.

وقد كان للاغتراب المتزايد بين إدارة الكنيسة والمؤمنين دور رئيسي. الكنيسة الكاثوليكية تتعرض للنقد، على سبيل المثال، حول التعيين الكيفي للقسس والأساقفة والضغط على حرية الرأي، العزوبة، التمييز ضد المرأة وتحريم العلاقات الجنسية قبل الزواج، وكذلك الوصاية على كل تطلع، كما تنتقد الكنيسة البروتستانتية على انهيار ثقافة المواعظ، وعلى الاتجاه القوي لحصر الإيمان بالإكليروس، ونرجسية غيتو كنسي مستغرق في طقوس مشغولة بالذات وحدها، أما مصطلحه الداخلي فغريب على من هو غير مدرب أو متخصص. وفي النهاية تدور المسألة حول استقلالية المنظمات الكبرى، التي تتلقى الدعم الحكومي، وعليها أن توزع هذا الدعم وهذه الدخول من كل نوع. إن انفصام عالمي الحياة لكل من الإكليروس والمؤمنين، إضافة إلى جدية هذا التحدي، كل ذلك لا يلقى حقه من الإدراك من قبل "السلطات العليا" في الخدمة الكنسية؛ لأن هؤلاء المسؤولين تابعون للخدمة الكنسية في بنيتهم التنظيمية، وهم بديهياً قائمون على ما هو كنسي وتوسطاً على ما هو مسيحي. وهذا يفتقد على نطاق واسع لدى المسيحيين الذين ليس لديهم أسباب حقيقية لكي ينضموا بصورة دائمة إلى العلاقات التواصلية الكنسية. لقد استطاعت الكنيسة الكاثوليكية، خاصة

في ألمانية، أن تستفيد لمدة طويلة من تعرضها قبل الحرب العالمية الأولى للتمييز بوصفها منظمة دينية موجهة من قبل البابا، فكونت وسطاً ثقافياً جانبياً معارضاً للحداثة، وقدمت عالم حياة مبنياً من الداخل عقائدياً. ومن خلال ذلك نتج (الوضع غير الطبيعي) لعصر ازدهار وجد فيه، حتى لغير المؤهلين مشاركة دينية، ليس فقط من وجهة نظر الحياة الكنسية بمعناها الضيق. كثيراً ما حدد التوجه الديني وبصورة جوهرية، السلوك السياسي الاقتصادي وحتى الثقافي، إلا أن ذلك جرى بثمن الابتعاد عن تطورات الحداثة، حيث لم تعد توجد بُنى ثقافية/اجتماعية مهيمنة؛ لأن هذه البنى تلاشت في ألمانية بعد الحرب العالمية الثانية، وفي سنوات ما سمي (المعجزة الاقتصادية)؛ وذلك من خلال تحديث رأسمالي مقسور وتحشيد اجتماعي، تبدت الأشكال المؤسساتية الكنسية بوصفها قليلة الصلاحية لأن تمنح الإيمان للأجيال التالية، وأن تعلي من شأن الانخطاف الداخلي من خلال الرسالة المسيحية.

ما هو غني بالدلالة، كيف ردَّ سابقاً الكاردينال (جوزيف راتسينغر)، الذي هو الآن البابا بنديكت السادس عشر، على الاتهامات الموجهة إلى الكنيسة الكاثوليكية. في كتابه (ملح الأرض) أشار إلى أن اللوثريين حققوا كل متطلبات حركة

الشعب الكنسية فيما يخص العزوبة، دخول المرأة في سلك الكهنوت، وسائل منع الحمل، وكذلك إعادة زواج المطلقين، ومع ذلك لم يصبحوا أقرب من حل مشكلة، كيف تستطيع الكنيسة في هذه الأيام أن تعيش الإيمان المسيحي. فيما إذا كان الأمر بصورة متهورة أم مدروسة: فالإيمان لامس بذلك المشكلة المركزية في الدين، ليس فقط مع الحداثة، وإنما بالتأكيد مع الحداثة.

"يأخذ الدين اعتباره اجتماعياً بسبب فائدته الاجتماعية، وليس بسبب أمره الإلهي الذي كثيراً ما يعبر عنه عيانياً. إنه دين مدجّن يتحول في هيئة الكنائس إلى قوام اجتماعي يعبّر عنه المرء في التلفاز، كما يمكن للمرء أن يدرك فاعلياته في صورة إحصائيات، تماماً مثل فاعلية حكومة أو اتحاد أو شركة مساهمة".

يبدو الحضور الاجتماعي للدين في صورة الكنائس للكثير من المعاصرين على أنه المدخل المباشر لذلك الواقع الآخر، الذي يشير إليه الإيمان المسيحي في الأغلب لكي يشوهه أكثر من أن يبسطه. ذلك أن هذا الوعي منتشر على نطاق واسع، يدلل على نفسه في مثل هذه الصياغات، يسوع نعم - الكنيسة كلا، أو أنا أؤمن بالله، لكن ليس لي أي تعامل فيه معنى مع الكنيسة. بطبيعة الحال تحتوي مثل هذه

الصياغات على معانٍ متعددة، ولكن يبدو فيها تجربة أساسية للحداثة واضحة كل الوضوح، وتعود جذورها حتى إلى الاحتجاج الإصلاحي ضد المسيحية البابوية، إن لم تكن تعود إلى الأنبياء اليهود: التجربة الأساسية حقيقة، التي ترى أن المواجهة مع ما هو إلهي، في حال حدوثها، فإنها تحصل في إيمان الفرد وليس في صور الدين المنتشرة اجتماعياً[١].

يشهد فقدان أهمية الكنيستين الاثنتين، إذا أخذنا المسألة بقسوة، على الانسحاب من المنظمات الكبرى، حيث يجري الحديث عن (نزع الكنيسة)، وهذا لا يجوز أن يوضع على قدم المساواة مع (نزع المسيحية)، فمن ينسحب من الكنيسة البروتستانتية، يمكن له أن يشارك في دورة السنة المسيحية، ومن لم يعد يدفع ضرائب للكنيسة يستطيع أن يدعم فاعليات شماسية أو فاعليات أخرى يرى أنها ذات معنى تقوم بها الكنيسة. حقائق الإيمان المسيحي معقدة، وقد وجدت منذ زمن طويل، منذ أزمنة التقوى وعصر الأنوار (مسيحية خارج الكنيسة) يمارسها مسيحيون، لا يريدون أن يسمحوا بالتدخل، لا في ممارسة تدينهم ولا في درجة ارتباطهم بالكنيسة، ولا حتى في مشاركتهم في الخدمة الإلهية، لا من

(١) فرنز سافر كاوفمان: الدين والحداثة، آفاق علمية سوسيولوجية، توبنغن، ١٩٨٤م، ص ٢٠٢.

قبل الكنيسة الرسمية ولا من قبل كهنوتها[١]. الإيمان من دون التبعية "Believing without belonging"[٢] هذه هي المعادلة

(١) فريدريك فلهم غراف: مصدر سابق.

(٢) "Believing without belonging" هذه هي المعادلة المماثلة بالنسبة إلى الانتماء والتبعية إلى الكنيسة، التي تتنافى مع المسيحية والتدين الحقيقي. هذه المعادلة تصح بالنسبة إلى قسم كبير من أعضاء كل تلك الديانات والمجموعات الدينية - بصرف النظر عن درجة تنظيمهم وحجومهم - التي ولد فيها المرء، أو التي أدخل إليها المرء دونما مقدرة على اتخاذ القرار أو إمكانيته. يمكن للمرء أن يرى مؤشراً بالنسبة إلى القسم النوعي من "الانتماء بدون إيمان" لتشكيل يقدم لنا ملاحظة بصورة نظامية عن طبيعة الأمور، التي رصدت إبان الاستجوابات لدى الملامح المنهجية للحزبين الرئيسين في ألمانية CDU الاتحاد المسيحي الألماني الديمقراطي، CSU الاتحاد الاجتماعي المسيحي، صوت عدد كبير من الذين تم استجوابهم لمصلحة الأمن/مكافحة الجريمة، ودفع النمو الاقتصادي إلى الأعلى، وتحديد الهجرة، وتوجه الأجانب نحو الثقافة الألمانية. ولمصلحة سياسة يكون فيها لأوربة دور كبير. هناك مثال واضح إذ صوّت فقط ٢١٪ لمصلحة العدالة الاجتماعية. بالتأكيد كان في نظر النصف من الذين سئلوا هذه الأحزاب، التي وضعت نفسها بتصرف "القيم المسيحية". الحزب الاشتراكي SPD، بالإضافة إلى "الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني" الذي اعتبر أكثر من نصف المستجوبين أنه يعمل من أجل العدالة الاجتماعية ويدافع عن الدولة الاشتراكية، وعن التسامح مقابل الثقافات الأخرى وإرساء =

بالنسبة إلى أولئك الذين انفضوا عن الكنيسة المسيحية وليس عن المسيحية.

في البلاد التي ضاعت فيها أهمية الكنيستين المسيحيتين الكبيرتين تتصادم فيما بينها المقالات، الأحاديث الإذاعية والتلفازية وغيرها من التعبيرات المماثلة حول موضوع واحد تم التفكير فيه بعناوين مرتبطة بالدعاية من مثل (عودة الآلهة) (أعداء الأديان)، (أفق جديد للدين) وغير ذلك. إلى أي مدى يمنح الموقف في ألمانية على أقل تقدير نقطة انطلاق من أجل تقييم موضوعي لمثل هذه التأكيدات التي لها طبيعة البهرجة؟

إذا كان الحديث يجري عن أفق للدين في مجال مفتوح، فسيكون على المرء عند ذلك أن يفكر، في ألمانية بالدرجة الأولى، في النساء اللواتي يرتدين الحجاب وكذلك في المساجد. في الحقيقة ليس أقل لفتاً للانتباه من زوال الأهمية للكنيستين المسيحيتين، أنه في ألمانية، وبصورة متزامنة، يزداد عدد معتنقي ديانة غير مسيحية وغير منظمة كنسياً كما يزداد حضورهم، وأعني بذلك الإسلام.

= السلم في العالم، صوّت ٦٪ فقط من أعضائه لصالح القيم المسيحية، وهو الرقم الأدنى في لائحة البحث عن تغيير الطبائع.

في الوقت الحاضر يزيد عدد المسلمين في ألمانية على ثلاثة ملايين، وبذلك يكوّنون، بعد الكاثوليك والبروتستانت، المجموعة الدينية الثالثة من حيث الحجم، لكنهم غير منظمين في "كنائس كبيرة" ذات طبيعة حكومية، وإنما في اتحادات، تتصرف كمتحدثة عن القسم الأكبر من الجماعات الإسلامية. لقد بني أول مسجد على الأرض الألمانية في عام ١٧٣٢م، عندما سمح ملك بروسية (فريدريك فلهلم الأول) ببناء قاعة عبادة في بوتسدام من أجل جنود الحراسة الأتراك. على أن أقدم مسجد لا يزال قائماً حتى الآن بني في عام ١٤٢٤م في العاصمة الألمانية برلين، وهو مسجد فلهلمسدورف. وحتى في نهاية القرن العشرين كان هنالك ما يقرب من ٢٠٠٠ موقع معظمها غير ظاهر وغير لافت للانتباه؛ بيوت مستأجرة، بيوت خلفية، مصانع قديمة، كلها كانت تستخدم بيوتاً للعبادة، ولم يكن بادياً للعيان منها أكثر من عشرين موقعاً. بعد أقل من نصف عقد صار يمكن ملاحظة ما يقرب من ٢٥٠٠ موقع، من بينها قسم كبير منها أبنية مساجد حكومية بهندسة معمارية يغلب عليها الأسلوب الشرقي، وهي ترتفع في المحيط برونقها المتميز.

هذا الأفق المتعاظم أيقظ كثيراً من الاهتمام في بلد منحت فيه منذ زمن طويل الحرية الدينية تبعاً للدستور

الأساسي، كما يعطى فيه للدين وللانتماء الديني أهمية متنامية، كما يوجد خطاب عام يتنامى ويزداد باستمرار حول الدين بوصفه عاملاً يؤجج الصراع في الحياة الاجتماعية والسياسية، مع ضرورة الإقرار جوهرياً بأن الدين قد تحول في الوقت ذاته إلى نقطة تبلور للأحكام المسبقة القائمة على كره الأجنبي لدى أكثرية المجتمع وإلى بؤرة لتكوين هوية لدى الأقلية. تبعاً لدراسة أجريت في معهد دراسة الشعوب في ألنسباخ ارتبط الإسلام لدى ٤٤٪ من الألمان بقمع المرأة، ٤٨٪ بالعنف والإرهاب، ٦٪ بالتخلف، ٦٪ فقط أعلنوا عن التعاطف مع المسلمين. وفي دراسة أجراها مركز الدراسات التركية في جامعة دويسبورغ راسين كانت هنالك صورة سلبية مشابهة.

في الثلث الأول من العقد بعد دخول الألفية الثالثة تضاعف عدد النقاشات في المجلس النيابي الاتحادي التي عالجت بصورة أقرب موضوع (الإسلام) و (المسلمين)، وقد تغيرت لهجة هذه النقاشات في اتجاه تأكيد يزداد قوة على خطر الإسلام، وعلى أهمية اتخاذ إجراءات لمنع الصراع. بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، التي اعترف فيها المشاركون بانتمائهم إلى الإسلام، اشتد بكل صراحة الاتجاه الذي كان فعالاً في السابق وأعطته الحادثة المروعة

زخماً، بأن مجتمعاً تتراجع باستمرار القيم التي يوليها للأشكال الظاهرة في دينه الخاص، يتصرف رافضاً وربما بعدائية، عندما تظهر الصراعات الدينية إلى العلن وتصبح أكثر بروزاً، وبالدرجة الأولى عندما تترافق مع (الأصل الغريب).

من يتحدث عن (عودة الدين)، عليه أن يتحدث عن (الهجرة الكبرى)، عن (مسيرة العولمة). الناس الذين يتحركون على شكل موجات عملاقة، والذين غادروا أوطانهم إما مؤقتاً وإما بشكل دائم، كي يجدوا في مكان ما العمل، التربية، الحرية، العيش الكريم والحب، سيقومون جوهرياً بإحياء الدين وحتى الأديان. وهم إما سيشدون من أزر اعتقاد البلد الأصل الذي أحضره المرء معه، أو سيجبرون على القبول باعتقاد آخر. في كلتا الحالتين سيكون هؤلاء المقتلعون القادمون شاكرين من أجل قبولهم في جماعة مكونة دينياً بشكل كثير أو قليل، سيكون من شأنها أن تسهل التماسك من خلال الممارسة اليومية وستسهل توسط العلاقات المعينة، ومن خلال العون الروحي سيبدو الدخول في المجتمع الجديد أقل صعوبة.

لكي نبقى أولاً في مثال ألمانية نتساءل: قديماً في أزمنة التمييز الذي وقع على الكاثوليك البابويين وعلى حركة

العمال الديمقراطية الاشتراكية قبل الحرب العالمية الأولى، كيف أدى تكوين ثقافة هامشية ومجتمعات موازية إلى إبراز أقلية واعية لذاتها، استطاعت أن تتجاوز سيرورات الإقصاء، وتتوصل دونما اعتكاف على الذات إلى الاندماج في مجتمع الأكثرية؟ هكذا ينبغي أن ينظر المرء إلى دور الإسلام والمنظمات الإسلامية في ألمانية. إن من لا يقوم بهذه المساهمة، سيسير تبعاً لنموذج الحكم المسبق لأولئك الذين يحولون هذه الأقلية المصنوعة من قبلهم إلى دريئة لتفريغ إحباطهم، كما يحولون اندماجهم الناجح إلى اتهام بدافع التعصب أكثر منه بدافع العزل أو الإقصاء الواضح. وهكذا يمكن أن نشرح، بأن طائفة الأحمدية التي تأسست في الهند في عام ١٨٨٩م وفي إندونيسية قد استبيح دمها من قبل إسلاميين - راديكاليين بناء على فتوى، وهم لم يلقوا أي حماية لا من الحكومة ولا من الإسلاميين المعتدلين. في ألمانية حيث يعيش ٣٠٠٠٠ عضو من هذه الجماعة أُحرِق مسجدهم بالقرب من فرانكفورت بعد أن تمَّ تشييده في عام ٢٠٠٣.

انتقد (مجلس المهاجرين) في ألمانية سياسة التعامل العدوانية مع المسلمين. من جهة أرسلت إشارات اندماج مع المؤتمر الإسلامي، ومن جهة ثانية حددت سيناريوهات

التهديد ممارسةُ دوائر الأجانب ودوائر الأمن، وأعطت حماية الدستور سلطة التحديد الوحيدة حول أي المنظمات الإسلامية والمجموعات هي التي توصف على أنها مثار للشبهة. إضافةً إلى ذلك ففي كثير من الحالات يُمنع كثير من المهاجرين من البلاد الإسلامية من نيل الجنسية أو إعطاء حق الإقامة. في هولندة تحول أخيراً بعد سنوات طويلة من النقاش الساخن حول الإسلام ميثاق التنظيم الإسلامي المقر في البرلمان إلى المشاركة الديمقراطية لأقلية مسلمة كبيرة في السياسة الهولندية. الوضع الذي نشأ في أوربة بأن المسلمين يعيشون لأول مرة بوصفهم أقلية في مجتمع ليبرالي دنيوي، يمكن أن ينم على أنه طريق لمشاركة الإسلام في تشكيل الحداثة.

في مثال على الأحكام المسبقة أو على الرؤى المتصلبة عن التاريخ العالمي، يمكن ذكر أحد المدافعين عن سياسة القوة الأمريكية خبير الشرق الأوسط (برنارد لويس) الذي صاغ في كتابه (جذور الغضب الإسلامي) العودة إلى (صراع الحضارات)، وقد تحدث عن الانقسام الذي أكده بمرارة يورغن هابرماس والذي حصل في الغرب نتيجة (للحرب ضد الإرهاب) التي أعلنها الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، في هذا الخصوص تصرف الاتحاد الأوربي مثل الرفيق

الحاسد. لقد تصرف الأوربيون بتحفظ مقابل الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يكن تحفّظهم إلا لأن أمريكة قد تجاوزتهم إلى درجة بعيدة، لهذا السبب يمكن أن يفهموا المسلمين؛ لأنهم يحملون مشاعر مشابهة إزاء الولايات المتحدة. وبرنارد لويس تنبأ: "أوربة سوف تصبح جزءاً من الغرب العربي؛ المغرب. يؤكد ذلك كل من الهجرة والديمغرافية. الأوربيون يتأخرون في الزواج وهم عديمو الأطفال أو أطفالهم قليلون جداً، مقابل ذلك توجد الهجرة القوية: الأتراك في ألمانية، العرب في فرنسة والباكستانيون في إنكلترة. هؤلاء يتزوجون باكراً ولديهم أطفال عديدون. تبعاً لاتجاهات واقعية سيصبح في أوربة على أقصى حد نهاية القرن الواحد والعشرين أكثرية مسلمة بين السكان"[١]. من يفكر أو يتنبأ، لا يمكن أن يسمح للمسلمين الخمسة ملايين أو السبعة في أمريكة بأن يشعروا بأنهم مواطنون أمريكيون ويفكروا وطنياً، غير أنهم ينتخبون ديمقراطياً ويرفضون سياسة بوش تجاه الدول الإسلامية.

عن تراجع الأهمية بالنسبة إلى (كنيستي الشعب) المسيحيتين الاثنتين لا يتميز فقط العدد المتزايد للمسلمين في

(١) "أوربة سوف تصبح في نهاية هذا القرن إسلامية"، حديث مع برنارد لويس، في: العالم، ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٤م.

ألمانية إذا صرف المرء النظر عن الزيادة الشاقولية للمجموعات اليهودية، التي تسبب بها انهيار النظام الشيوعي (من ٣٠٠٠٠ سنة ١٩٩١م إلى ١٠٠٠٠٠ سنة ٢٠٠٢م) إضافة إلى تزايد أعضاء أنواع مختلفة من المسيحية الأرثوذكسية إلى أكثر من مليون (مقسمة إلى عدة أبرشيات حسب القاعدة تبعاً لانتمائها إلى قومية ما)، وهكذا شكل، منذ بضعة عقود قبل كل شيء، ما يسمى (الديانات الجديدة) ظاهرة تلفت النظر. وحيثما تفقد تنظيمات كبرى متشكلة قدرة الجذب لديها، وتتصلب آجلاً أم عاجلاً المعارضة التنظيمية الداخلية لها (مثال على ذلك "حركة الكنائس الشعبية")، عند ذلك ستربح الجولة (الحركات الدينية). هذه الأيام يجري الحديث حسب القاعدة عن (حركات دينية جديدة أو أديان بديلة) بدلاً من الحديث عن (الطوائف). إنه في الحقيقة شيء جديد ونادر ذلك الذي يدور الحديث حوله. إن تعدد أشكال التعبيرات الدينية ينتمي في النهاية إلى تاريخ البشرية. الجديد قبل كل شيء هو: التعدد والانتشار وتكاثر التيارات المسيحية - البروتستانتية خارج التنظيمات الكبرى، والزيادة الكمية للمؤمنين وللباحثين عن المعنى، كيف يدرك هذا الموضوع ويعالج روحياً ودينياً وبأي مستوى من الاهتمام، لم يعد استخداماً كنسياً وإعلامياً وإنما علمياً، ولمدة يجري العمل عليه بحذر وبأحكام منتقصة على عكس الأزمنة القديمة.

في سبعينيات القرن العشرين كان الحديث في ألمانية يجري عن (أديان الشباب). بطلب من المجموعات المنشقة صار ينظر إلى الكنيستين الكبيرتين بعدم ثقة، والحركات القادمة من الولايات المتحدة بوصفها أديناً تبشيرية اتهمت بأنها ديانات مشوهة، ضللت الشباب، مرتبطة بجماعات مدارة سلطوياً، جعلتهم غير قادرين على الإسهام في الحياة العادية. منذ زمن لا بأس به تعرضت هذه الحفنة من (ديانات الشباب) للنسيان، وأزيحت آثارها من خلال طيف أصبح غير مرئي لطرق (جديدة) قديمة أو حديثة وصولاً إلى فهم العالم، والتغلب على الحياة، وإيجاد الذات وإيجاد المعنى. وهذه الطرق تملأ الآن - ما يسمى من قبل الكنائس الكبرى ومن قبل اللاهوتيين الأكاديميين - (أسواق الدين)، التي توجد منها معابر متدفقة إلى أسواق التحقق الذاتي الخاضع للشراء، العون النفسي، الباطني والخفي، وفي النهاية في الطب البديل وعروض الصحة.

لتصورات الخلاص في الديانات الجديدة وجودها، حيث تشتمل على قطع تزيينية في هذا الدين العالمي أو ذاك، وهو في القاعدة أقل تعالياً مما هو محايث: الخلاص يتحقق بالدرجة الأولى هنا والآن بوصفه خلاصاً أو بالدرجة الأولى خير الفرد أو المجموعة. انطلاقاً من الاعتقاد بتجول الروح، حيث يكون من الممكن طبقاً لتصور كلاسيكي شرقي التحرر

من الدورة اللامتناهية من الولادة، الموت فالولادة الجديدة فالوصول إلى النيرفانا من خلال تحول مناسب للحياة، بذلك يمكن أن تصبح الرؤية في ديانة توفيقية غربية أو ديانة هجين تركيبية بأنه مع عقيدة تجول الروح ينفتح للإنسان الأفق على تنوع غير منظور لإمكانيات التجربة التي يعيش فيها الفرد الحياة مرات عدة. بصورة عامة يمكن القول بالنسبة إلى (الأديان الجديدة)؛ هنا يسيطر عنصر الهواية، والتنازل عن تقليد التعليم وتفسير النصوص، إنها أشكال عاطفية للتدين ولتكوين مجموعات حرة.

إن نظرة إلى ألمانية تبدو قابلة للتأرجح: هل تشهد الأحداث هناك على أن سيرورة الدنيوية تعمل على ضمان التغيرات في مجال الدين؟ لكن من خلال ذلك لن يكون استمرار الدين موضع تساؤل، أو إذا كانت المسألة تدور، لدى تزحزح الاهتمام بالمشهد الديني أو بعروض دينية جديدة دائماً، حول ظاهرات الانحلال، وفي حالة الإحياء الديني من قبل المهاجرين والوافدين حول ظاهرات انتقالية، لا يمكن أن تخدع المرء بأن سيرورة دنيوية متقدمة ستدفع بالدين في النهاية إلى الاختفاء التام؟

إذا ما وسعنا حقل الرؤية فلن يكون ثمة شك بأن التحديث والعلمنة لا يمكن أن يؤديا إلى اختفاء الدين أو

يقللا من أهميته. لقد كان مربكاً بالنسبة إلى المدافعين عن أطروحة سيرورة التحديث التي تستبعد الدين راديكالياً، أن المركز الدافع إلى الأمام لسيرورة العقلنة الغربية تبعاً للرأي العام، وهو الولايات المتحدة الأمريكية، يشهد على كل شيء إلا على اختفاء الدين. الفصل بين الدولة والكنيسة المثبت في عام ١٧٩١م في التعديل الأول للدستور الأمريكي ليس له أي هدف مرتبط بالعداء للدين. وهو انطلق بالدرجة الأولى من تجارب المضطهدين بسبب معتقداتهم النوعية في أوربة، وتجارب تدل على أن تأسيس دين جديد بوصفه دين الدولة سوف يحد من الحرية الدينية لأصحاب المعتقدات الأخرى؛ أي التمييز الذي يمكن أن يؤدي إلى القتل أو الطرد. يهدف الفصل بين الدولة والكنيسة في الولايات المتحدة إلى (الحرية في الدين) في حين بدا الأمر في أوربة، بقدر ما حصل فيه الفصل بين الدولة والكنيسة، تحولاً إلى اتجاه أدى إلى (الحرية من الدين). بالنسبة إلى الولايات المتحدة كان ويبقى، بصرف النظر عن سيرورة التحديث المتسارعة، تنوع الجماعات الدينية وعلنيتها في فضاء مفتوح ميزة كبرى. الكنائس هناك ليست كنائس دولة أو قريبة من السلطة، وإنما اتحادات دينية ومجتمعية تتكون من أناس مهتمين بالحوار الحر، وتدفع إلى الحركة بهذه الطريقة، وهذا يجعل الكنائس العديدة والمجموعات الدينية مرتبطة

بالتزام أشياء كثيرة، من بينها الالتزام المالي لأعضائها، ويرفع من استعداداتهم للتطابق والتشارك. على عكس البروتستانتية المهيمنة في أوربة، التي تتصف بالاقتراب من الدولة، وبالاتجاهات الإكليركية وطبيعة الكنيسة الرسمية، فقد ظلت البروتستانتية في الولايات المتحدة في صدد تجديد للإيمان غير مغلق أبداً، من خلال العودة الدائمة إلى الكتاب المقدس، ورفض سيطرة الإكليروس، والتعديل على تجارب الإيقاظ الشخصي، والرفع من شأن المهنة الدنيوية، إضافة إلى تشكيل العالم الفاعل، كلها بقيت حية في النفوس، حتى الكاثوليكية عاشت هناك ووجدت صوغاً جديداً من خلال نموذج الإيمان البروتستانتي، إلى درجة أنه جرى الحديث في ثلاثينيات القرن الماضي عن تحول الكاثوليك إلى (البروتستانتية). على عكس أوربة، حيث تتشكل أقليات صغيرة، فإنها ستكون في الولايات إما انتقالية وإما عنصرية (نسبة إلى عيد العنصرة)، حيث التنافس الديني كبير، وكذلك التعبئة الدينية، وكلها ممثلة بقوة. وهكذا يقدم المجتمع الأمريكي صورة حداثة حيوية دينياً.

تسمح النظرة المتعمقة والبعيدة المدى في العولمة بإدراك ظاهرة تلفت النظر لشدة وضوحها. إزاء إضعاف كنيستي الشعب المسيحيتين الاثنتين في ألمانية، بما في ذلك من

مؤشر بالنسبة إلى العلمانية الغربية، يظهر على مستوى العالم نموها ولا سيما البروتستانتية، لكنه نمو بروتستانتية مشكلة بصورة أوضح من الأشكال الإنجيلية والعنصرية الموجودة في الولايات المتحدة. في أمريكة اللاتينية تخسر الكنيسة الكاثوليكية مواقعها، في المقابل تتزايد بصورة تلفت النظر أقسام من أنواع البروتستانتية، التي تؤكد الطبيعة العفوية والكارزماتية للمعتقد، وتحمل طبيعة تبشيرية فعالة جداً. هذا القسم من التبشير يتنامى في آسية وإفريقية. وعلى مستوى العالم تتحول المسيحية التي انطلقت في الماضي من ألمانية وسويسرة وهي بالدرجة الأولى مسيحية بروتستانتية أوربية وشمال أمريكية إلى ما هو مسيحية كاثوليكية منذ زمن غير قريب. إنه دين خارج أوربي قبل كل شيء. بصورة إجمالية يُنتج الدين ليشير منذ زمن طويل إلى نمو واضح خارج أوربة وأيضاً ديناميكية التعددية وديناميكية التمايز اللتين نلاحظهما على مستوى العالم.

وصلت سيرورات الاختلاف والتعددية والتهجين على مستوى العالم إلى كثير من الشدة والسرعة، حيث لا يبقى أحد من المؤمنين بعيداً عن صدمة النسبية. في الوقت الذي كانت فيه في السابق حقائق واضحة ذاتياً في سياقاتها الثقافية المعنية قادرة على أن تعلن عن نفسها ودونما معارضة يجري

تصديقها، نجد الآن تجاهلاً عدوانياً ورفضاً، وهذا ضروري للانسحاب من المنافسة مع متطلبات الإطلاقيات ومتطلبات الحقائق الأخرى. إذا كان ذلك كله لا يسرّع في زوال الدين، وإنما النظر إليه على أنه تعدد حالات التدين، مع أهمية غير متراجعة للتدين بالنسبة إلى القسم الأعظم من الناس، عند ذلك يسأل المرء نفسه: ماذا يعني للمتدينين دينهم؟ وكيف ينظرون إلى أهمية هذا الدين؟ إنها أسئلة أستطيع أن أقدم لها ثلاثة أجوبة جزئية. وهي تعني - إذا حددنا بطريقة الكلمات المفتاح - الأصولية، غطاء الرأس، التبرم إزاء الحداثة.

في خطوة أولى لشرح حقيقة أن تحديثاً على مستوى العالم دائماً انتقائياً وغير مدروس لم يقلل صراحة من أهمية الدين، وإنما رفع - ظاهرياً على الأقل - من شأنه، وأدى به إلى زحزحات، وتحولات وإلى مركبات جديدة، وهنا تقدم ظاهرة الجاذبية الخاصة للأشكال الإنغليكانية للبروتستانتية نفسها وصولاً إلى الأصولية الكارزماتية.

في الأصل يعني مصطلح (الأصولية) حالة مخالفة معزولة ظهرت إلى العلن في بداية القرن العشرين في البروتستانتية الأمريكية. يكافح معتنقوها الظواهر الحديثة مثل نقد الكتاب المقدس، نظرية التطور، حقوق المرأة، الاشتراكية والإعمار، وقد طالبوا بحرفية الكتاب المقدس،

بسلطة أبوية قاسية، وبمنع الكحول، والقمار والبغاء. في الفهم اليومي يفكر المرء، عندما تُذكر الأصولية، بالأسس الدينية الأولى، بالتفسير الحرفي للنصوص المقدسة، بأخلاقية متشددة خاصة في مجال السلوك الجنسي والعلاقة بين الجنسين، ضد الحداثة وعدم التسامح إلى درجة استخدام القوة والعنف. هذه إلى حد ما مجرد كليشيهات، غير أنها تتطابق جوهرياً، وفي الدقة العلمية يتطابق مفهوم الأصولية مع تسمية الخصائص المشتركة لحركات دينية حديثة متجذرة في تقاليد دينية متعددة. ويمكن اختصارها بإيجاز إلى أربعة مؤشرات مركزية مشتركة على أقل تقدير مع عدد كبير من الحركات الأصولية "تقليدية راديكالية، أبوية راديكالية، تكوين جماعات على أسس أخلاقية اجتماعية بالدرجة الأولى ثم تعبئة العوام الدينيين"[١].

هذه الخصائص تجعل من الأصولية النموذج المضاد لمجتمع السوق الليبرالية الحديث. يمكن فهم صورة الحياة الدينية الأسرع نمواً بوصفها محاولة للتغلب على (حداثة موجودة فعلياً) تؤدي إلى انهيار الجماعات التقليدية، والتي يرد عليها بوجهة النظر التي تقول بالعودة إلى ما وراء تقاليد

(١) مارتين ريزيبروت: التجديد الأصولي للأديان، ٢٠٠٤م، شبكة اليسار، ص ٦.

أخفقت وأصبحت حطاماً؛ أي إلى التقليد الأقدم للجماعة الأولى ومؤسسها، الذي يجب أن تتبع أوامره حرفياً وتحقق كذلك في الواقع. الأصولية لها جاذبيتها بالدرجة الأولى بالنسبة إلى المنتمين إلى طبقات اجتماعية تشعر بأنها مهددة بسبب الانحدار الاجتماعي. كمثال على أصولية الوسط الحدية يمكن ذكر الأصولية البروتستانتية في الولايات المتحدة في سنوات ١٩١٠ - ١٩٢٨م والأصولية الشيعية في إيران ١٩٦١ - ١٩٧٩م[١].

الأصولية أيضاً جذابة بالنسبة إلى أولئك الذين خابت آمالهم بصورة قاطعة حول توقعات الارتقاء في السلم الاجتماعي. إلى هؤلاء تنتمي أجيال من المثقفين ومجموعات أغلقت أمامهم الآفاق التقليدية للنهوض الاجتماعي بسبب إمكانيات الامتصاص المستنفدة للسوق أو بيرقراطية الدولة. في البلدان العربية الإسلامية يمكن أن يصبح الرجوع إلى الإسلام أداة للتغلب على أزمات وجودية، وذلك بعد الإخفاق والخزي اللذين لاقتهما الاشتراكية العربية والوحدة العربية والفكرة القومية. نتيجة للأبحاث التي أجريت حول

(١) مارتين ريزيبروت: الأصولية بوصفها حركة احتجاج باتريارشية - البروتستانتية الأمريكية (١٩١٠ - ١٩٢٨) الشيعية الإيرانية (١٩٦١ - ١٩٧٩) مقارنة، توبنغن، ١٩٩٠م.

التطرف الإسلامي في مصر تمَّ ملاحظة: الطلاب الدارسون للعلوم التقنية والتطبيقية، والمؤهلون بصورة جيدة، ولديهم مطامح كبرى كان لهم دور مهم في الحركات الإسلامية الراديكالية، بخلاف الطلاب القادمين من مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية الذين يحملون على أقل تقدير أفكاراً اجتماعية وثقافية عن الحداثة الغربية"[١].

حيثما يلتقي الإعجاب أو التقدير غير المدروس واقتباس الحداثة التقنية العلمية مع نقد اجتماعي متمركز حول تصورات أخلاقية، ولا سيما الأخلاقية الجنسية، مع رؤية للعالم لدى المؤهلين عقلياً، عند ذلك يمكن أن يكون الدين أساساً لصراع ضد قادة نظام غير أخلاقي وضد المستفيدين منه.

بطريقة أخرى تبدو الأصولية جذابة بالنسبة إلى المنتمين إلى طبقات اجتماعية متضررة كثيراً إلى درجة أنه لم يعد لها أفق نحو المستقبل، وأفرادها يشكلون قبل كل شيء موضوع جهود التعبئة لدى الأصوليين السياسيين أكثر من أن يكونوا منخرطين عسكرياً، وبهذه الطريقة فهم منهمكون جداً في معركة البقاء اليومية. قبل سبعينيات القرن الماضي كان يمكن أن يكون السؤال: لماذا لا ينتظم مثل هؤلاء الناس وفق

(١) كيبل: التطرف الإسلامي في مصر، بركلي، ١٩٨٥م.

قاعدة مصالحهم الاقتصادية والسياسية الاجتماعية؟ منذ أن أصبحت الاشتراكية مشروعاً تاريخياً مخفقاً، والمحاولات التي من هذا النوع، إما أنها تعرضت إلى القمع بالقوة، أو أنها اختنقت في ديكتاتوريات أو سلطات قمعية، أصبحت ردود الفعل المعبأة دينياً على مستوى تجارب الأزمات هي الأكثر فاعلية. ولا شك أن الأصولية الكارزماتية تحقق إنجازات فردية مباشرة. فيما يخص النوع المرتبط بالأصولية الكارزماتية يبدو من المؤكد كيف يُحاط شعور الاستلاب الكلي والإخفاق الذاتي بسبب الديناميكية المشهدية للحياة الحديثة للدخول بالتجربة الدينية عن الخطيئة الأولى الشخصية وعن الهداية المفاجئة لعضو تمّ إنقاذه، وواحد من مجموعة من أولئك الذين اخترقهم النور الإلهي والذين تعرضوا إلى إغواءات وضلالات مشهدية جهنمية. في هذه الحالة، التي ينتمي إليها بصورة خاصة (العنصريون) المنتشرون سريعاً، فإن لتجارة النشوة دوراً أكثر بكثير من الكلمة المنظومة ومن علم اللاهوت. وهذه تشكل تجربة هداية لدى (العنصريين)، صلاة عضوية عامة، رقص وغناء بوصفها تعبيرات (عيد عنصرة) حيث يخترق (الروح القدس) كيان الفرد. ما يجري البحث عنه، يستطيع المرء بإيجاز أن يقول بأن "تجربة القوة الجسدية المباشرة التي ترتبط معها حالة دينية بارزة، تعاندها تجربة القمع الاجتماعي، ومشاعر

العجز مقابل القوى الغفل التي تقرر شؤون الحياة. [...] ما تدور المسألة حوله، إنما هو التعويض المباشر لتجربة سلطة مرتبطة مع تنظيم أخلاقي لعالم الحياة"[١]. من خلال ضغط الامتثالية العالي للمجموعة يصل المرء إلى إدارة حياة مقررة من قبل الضبط الذاتي، قمع الغرائز والزهد، من شأنه أن ينتج شعور الاستقلالية في العلاقة مع الوسط المحيط. إن إقامة حيز أصولي سيحقق نسبية فوضى (الحداثة الموجودة فعلياً). "في عالم التعددية الراديكالية، الذي يعاني فيه كثير من الناس تحت ضغط غموض الآفاق الجديدة، ونقص أمان التوجه، وضع كل الالتزامات المهيمنة تحت المساءلة النسبية، تقدم الأديان القاسية للمتدينين المنضوين تحت لوائها صورة عالم راسخة مقاومة للأزمات مع تمايزات خارجية - داخلية حاسمة (مثال على ذلك بين المذنبين وبين الذين تمّ إنقاذهم) نماذج واضحة لإدارة حياة صالحة ضمن الإرادة الإلهية، تفريقات ثابتة بين الخير والشر. كما تقدم إطار نظام مقدس من أجل المشترك السياسي العام في هيئة الدستور الإلهي؛ من مثل الوصايا العشر، ضمانة التوقعات

(١) مارتين ريزيبروت: الأصولية، الدنيوية ومخاطر الحداثة، في: هاينر بيليفلد / فلهم هاينماير: إصدار الدين المسيّس - أسباب وصور ظهور الأصولية الحديثة، فرانكفورت، ١٩٩٨م، ص ٨٨.

المتجددة بصورة دائمة من التواصل الديني بمسرات النعيم الماورائية، علاقات اجتماعية كثيفة بين من يعتنقون المعتقدات ذاتها، وكذلك الدعم الذي يحفظ التماسك الاجتماعي في مجموعة إيمان متضامنة مع شبكة عمل للمساعدة عالية الجودة من أجل حالات الأزمات التي تعترض الحياة"[١]: إن أشكال المسيحية البروتستانتية الأصولية من عنصرية إنغليكانية وكارزماتية، والتي تنتشر، مثلما هو الحال في الولايات المتحدة، في أمريكة اللاتينية، وإفريقية وبعض أقطار آسية بما في ذلك أيضاً الإسلام، إنها ولا شك ظاهرة مرافقة لسيرورة التحديث الانتقائية على مستوى العالم.

إن للانتشار العالمي للأشكال الأصولية للإيمان أهمية كبرى في حال الإحياء الديني يقارب الاتهام بأن الدين لا يصلح كثيراً ليقوم بدور تحديثي متعدد الجوانب، وما دام لا يستخدم سياسياً بوصفه أداة، يبدو أنه يقدم خدمة لإلغاء شكل انتقائي من التحديث أو أي نوع من موقف مضاد بالنسبة إلى عدد كبير من أولئك الذين ترتبط الحداثة لديهم وكذلك العولمة بالدرجة الأولى بتجارب الاستلاب والخسران. في التشكيل التاريخي لقارة أوربة (الفاقدة للإله)

(١) فريدريك فلهم غراف: مصدر سابق، ١١٣.

علينا أن نرى طريقاً خاصاً لتأريخ العالم، يبدو مؤشراً إلى سيرورة مرضية، يبدو الأمر بوصفه نهاية شديدة سرعة الانتشار لحالتها الاعتيادية، حيث يجري الانتقال بصراحة من الحالة الاعتيادية إلى (الحالة المعيارية). هذه المسلمة يقر بها بصراحة منتمون إلى الكنائس المسيحية الغربية، الذين تلقوا زخماً روحياً من وراء وجود مسلمين شديدي الإيمان في أوربة المنزوعة المسيحية، وهذا الزخم يرجى منه أن يسيطر على المسيحيين ضعيفي الإيمان في أوربة ويعمل على إيقاف الانهيار الأخلاقي ويسبح عكس التيار. أما قوة الإيمان وضعفه فلا يقولان الكثير عن معايير القيم التي تكونها القناعات الدينية. إن معياراً غنياً بالعبرة يكون بالمقابل طريقاً إلى الخلاص، يقضي بأن نظاماً أبوياً راديكالياً وتقليدية راديكالية تنتمي إلى العلامات المركزية للحركات الأصولية، وفي النهاية كل الديانات الكبرى مطبوعة بقوة النظام الأبوي التقليدية، والسؤال بعد ذلك هو: أي أهمية تكون للنساء بالنسبة إلى الدين، وأي أهمية للدين بالنسبة إلى النساء؟

إن ما يلقي الضوء على ذلك مع أشياء أخرى، إنما هو الصراع حول غطاء الرأس النسائي في المجتمعات المدينية الحديثة. مع الاتجاه نحو قبول متعاظم لصورة ظاهرة هؤلاء النسوة في المجتمعات الغربية، وقد ظهرت أولاً بصورة غير

لافتة للنظر أغطية النساء المسلمات، التي لم يجدها أحد في البداية مثيرة للنفور، لأنها ارتبطت مع صورة موسعة (للعمال الأجانب) الذين جاؤوا من مناطق البلدان المتخلفة والأقل تطوراً إلى الغرب المتقدم. لقد أصبح غطاء الرأس مصدر صراع عندما ارتُدي بكثرة من قبل مسلمات شابات من الجيل الثاني أو الثالث أو من قبل طالبات أجنبيات يبدين علامات كثيرة للحداثة، مثل الزينة، والكعوب العالية والملابس التي تبرز مفاتن الجسد. لقد تم إدراك هذه الظاهرة أولاً وقبل كل شيء، بوصفها علامة واضحة على القمع الاجتماعي، وبوصفها انحداراً قاطعاً خلف الاعتراف بحقوق المرأة، وهي الحالة التي وصل إليها الغرب منذ زمن بعيد. والتفسير بُحث عنه في الضغط الكبير الممارس في قليل أو كثير من قبل الأسرة أو من قبل رفيق آخر في المعتقد الديني. على كل حال لم يكن من الممكن التصور بأن الظاهرة المتزايدة لارتداء غطاء الرأس من قبل الفتيات المسلمات ترتبط بالحرية أو بالقرار الذاتي.

من الواضح أنه ينتج عن الاستقصاءات السوسيولوجية الميدانية صورة أخرى. السوسيولوجية شيرين أمير معظمي أجرت على سبيل المثال قبل بضع سنوات في فرنسة وألمانية مقابلات مع عدد كبير من النسوة اللواتي يضعن غطاء الرأس

من الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين المسلمين، ووصلت بذلك إلى معلومات تصلح تماماً لتأزيم المعنى بالنسبة إلى سيرورات معقدة للتوسط بين التقليد الديني ونمط الحياة الحديثة[١]. النسوة اللواتي أجبن عن الأسئلة لم يصبن إلا في القليل النادر تربية دينية واضحة أو تعليماً دينياً، بمعنى أنهن لم يجدن في ارتداء غطاء الرأس التسويغ المنطقي. أكثر من ذلك؛ الفتيات اللواتي ينتمين إلى المهاجرين من تركية وشمال إفريقية ويعشن في مناطق محرومة اجتماعياً استحوذن بسبب التربية التي حصلن عليها في فرنسة وفي ألمانية على معرفة دينية بصورة مستقلة. هذا (الرأسمال الثقافي) منحهن الوعي الذاتي الضروري والحجة الضرورية، وصولاً إلى تفسير مستقل لتقاليد في صياغتها الدينية وفي شرعيتها الدينية أيضاً. كان غطاء الرأس لديهن نوعاً من استمرار صيغة الإسلام المشغولة ذاتياً، والتي ينتمي إليها أيضاً موقع خاص في الخطاب الإسلامي للفصل بين الجنسين. يمكن لغطاء الرأس أن يرمز إلى المطلب الذي يقضي بأن المواطنة المسلمة لها الحق في أن تشارك في الحياة العامة، بدلاً من

(١) أرماندو سالافاتور / شيرين أمير معظمي: تقاليد الخطاب الديني، تحول الإسلام إلى الجماهير الكولونيالية، ما بعد الكولونيالية، والأوربية. في الصحافة البرلينية للسوسيولوجية، دفتر ٣، ٢٠٠٢م.

أن تبقى متخفية ما أمكن وبعيدة عن المجتمع مثل مسلمات الجيل الأول مع (إسلامهن الهادئ). في الوقت الذي تعيش فيه الإسهامات الأبوية للتقليد الديني حالة من النسبية لدى الوالدين والإخوة في بلاد الهجرة وبين استقلالها النسبي في المجتمع، تدين النسوة في سن الشباب سيطرة الرجل بوصفها نقصاً في الاحترام للإسلام: الإسلام (الحق) أو الإسلام الأول المحرر من الاستخدام المهيمن عليه دونما مساءلة، والذي يشرعن دينياً مشاركة المرأة في الحياة العامة. وهكذا تنشأ الصورة الفاعلة تناقضياً، ذلك أن الفتيات المسلمات مرتديات الحجاب في البلدان الغربية بسلوكهن الإجمالي يمكن أن يجسدن عملياً إمكانية الإصلاح في الإسلام. في الحياة العامة لا تظهر المرأة الحريم الخرساء الخجولة، وإنما المرأة المسلمة التي تشارك في الحياة والمجتمع، والتي تمارس بذلك إعادة تحديد أدوار تقليدية حددت ورسخت من قبل الرجال. وبذلك تخلق بُعداً سواء كان ذلك من إسلام الوالدين، أم كان ذلك من الصورة التي تسيطر في الرأي العام الفرنسي والألماني عن المسلمات مرتديات غطاء الرأس.

عن التأثيرات المتبادلة بين بلاد الاغتراب والوطن الأم في عصر العولمة تنشأ الملاحظة، بأنه حتى في إيران ذات

الحكم الديني العام بعد استلام السلطة لرئيس جمهورية يربط تأييد التقدم التقني الحضاري مع رفض الحداثة على أساس ديني أصبح غطاء الرأس حسب مرتديه إما طريقة للحداثة وإمَّا إعلاناً عن الموقف السياسي. التدين الحقيقي بالمقابل في الدولة الدينية انسحب من المساجد التي أصبحت مع الزمن أكثر فراغاً، إلى القاعات الخاصة، وفي صيغة عصرية إلى الاجتماعات السرية الصوفية.

أحياناً تتوافق النساء المستطلعات مع الإسلام (الحق) بعيداً إلى درجة أنه يبدو بوصفه ضماناً لكرامة المرأة، في حين تسقط المرأة الغربية في نظرهن فريسة المثل الجمالية الخارجية، ولذلك فهي حقاً المقموعة، وبذلك يتوافق تصور الحداثة مصححة من خلال الإسلام (الحق) مع حداثة (إسلامية) ربما أكثر صحة، وهذا يسمح بالتفكير بارتباك هابرماس الذي ذكر سابقاً بسبب سؤال الزميل الإيراني، فيما إذا لم تكن، من وجهة نظر التاريخ الحضاري والسوسيولوجية الحضارية، الدنيوية الأوربية هي الطريق الخاص حقاً، والذي يحتاج إلى تصحيح. بالنسبة إلى هابرماس يتجاوز مثل هذا السؤال القناعة بأن الرسالة الدينية وحدها الموجهة لمركز المرجعية المتعالية تستطيع أن تنتشل حداثة مشوّهة من الطريق المسدود. أما استجابته

على ذلك فهي الدفاع عن الموقف: ليس الدور السياسي الصريح للدين في الدولة والحياة العامة، وإنما التعاون لدى ترجمة المتطلبات السياسية المؤسسة دينياً في إسهامات مؤسسة دنيوياً وصولاً إلى الحوار السياسي. إنه اعتراف متحفظ بأنه يمكن لنا أن نكون مدينين" لقوة الارتباط النوعية للغات الدينية" واحتمال كونها معينة ومحرضة بالنسبة إلى مشروع الحداثة، وهذا لا يبدو فقط في نظر هابرماس، وإنما لدى سلسلة طويلة من الفلاسفة الغربيين واللاهوتيين ومشخصي العصر والفنانين ثنائي الوجه وغنياً بالأزمات.

الصياغة المجازية التي جاء بها كارل ماركس حول الدين تعد أشهر الأقوال في هذا الخصوص: "الدين أفيون الشعوب"[1]. ما قصده معاصر الثورات العلمية، الصناعية، الاجتماعية والسياسية في القرن التاسع عشر، ينطلق من تفاؤلية عالية فيما يخص إمكانية اكتمال الوجود البشري. "النقد انتزع الأزهار الخيالية من السلسلة، لا لكي يحمل الإنسان السلسلة الخالية من الخيال ومن العزاء، وإنما لكي يرمي بالسلسلة بعيداً ويكسر الزهرة الحية. إن نقد الدين يخدع

(١) كارل ماركس / فريدريك أنجلز، الأعمال، مجلد ١، برلين، ١٩٦٤م، ص ٣٧٨.

الإنسان لكي يفكر، يعمل، يشكل واقعه كإنسان مخدوع، يبلغ مستوى الفهم [..]"[١].

مثّل ماركس بصورة خاصة رؤية موجهة وراديكالية لتفاؤلية التقدم الغربية، والتي كسرت من خلال الكوارث التاريخية والمعارف الإيكولوجية في القرن العشرين. ولكن بالتأكيد قبل هذه الكوارث والمعارف استشعر كثيرون هذا التبرم وسط مجتمع حديث حقق انتصارات كبيرة. قبل أكثر من قرن أعرب الفيلسوف السوسيولوجي جورج زِمِل عن هذا التبرم من الحداثة في كتاب عنوانه (فلسفة المال).

"إجمالاً منذ أن وجد المال، أصبح كل إنسان، جملة وتفصيلاً، أميلَ إلى أن يبيع منه إلى أن يشتري. مع اقتصاد المال المتنامي يزداد هذا الميل باستمرار قوةً، ويهيمن أكثر على تلك الموضوعات التي ليست معروضة للبيع، وإنما تحمل طبيعة الملكية المستقرة، إضافة إلى أنها تبدو متعينة بأن ترتبط بالشخصية أكثر من أن تدخل في التبادل السريع: المصالح والمصانع، الأعمال الفنية والمجموعات، ملكية الأرض، الحقوق والمواقف من كل نوع. ومن حيث أن هذه كلها تبقى في اليد لمدة أقصر، فإن الشخصية تخرج

(١) المصدر السابق: ص ٣٧٤.

بصورة أسرع من المشروطية النوعية لمثل هذه الملكية، وسيتحقق بطبيعة الحال قدر كبير واستثنائي من الحرية، في الدرجة الأولى لأن المال بلا تعينه وبانعدام اتجاهه الداخلي سيشكل الجانب التالي من عمليات التحرير هذه، وهكذا تبقى هذه العمليات ثابتة لدى حقيقة الانخلاع، ولا تؤدي بصورة كافية إلى ترسيخ جذور من جديد. نعم، في الوقت الذي لا ينظر فيه إلى تلك الملكيات بالإجمال في حركة مال شديدة السرعة تحت مقولة مقومات الحياة المحددة، فإن الأمر لا يصل إلى التزام داخلي، انصهار، تكريس، من شأنها أن تعطي الشخصية بصورة واضحة حدوداً مقررة، ولكن في الوقت ذاته سنداً ومضموناً. وهكذا يبدو واضحاً، أن زمننا الذي ينظر إليه ككل، يملك من الحرية أكثر من أي زمن مضى، غير أنه يبدو بهذه الحرية أقل سعادة"[١].

زِمل ينشئ استجابة على ذلك "حنيناً عميقاً لإعطاء الأشياء معنى جديداً، مغزى أعمق وقيمة خاصة"[٢]، كما يضفي شعوراً من التوتر، التوقع، التطلع المبهم، "كما لو أن الشيء الأساسي ينبغي أن يأتي أولاً، الأكيد،

(١) جورج زمل: فلسفة المال، فرانكفورت على الماين، ١٩٨٩م، ص ٥٥٤ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٥٥.

المعنى الخاص والنقطة المركزية للحياة والأشياء"[١]. إنها بالتأكيد مقدرة منح الأشياء معنى أعمق، وهذا يعني تسريع التحول الثقافي، والاجتماعي والاقتصادي، وتدميراً أكثر من أي وقت مضى لروح تجارية لا تتوقف أمام أي عائق.

إن اختبار أهمية إحياء الأديان لا يزال قائماً (حقاً). وهذا رأي نافيد كرماني في صيف ٢٠٠٦م في مساهمة ظهرت في سلسلة من المقالات نشرت في صحيفة زوريخ الجديدة جواباً عن سؤال: "ما هو الدين الجيد؟". سيكون شيئاً عظيماً أن يترك الناس لثلاث مرات أو أربع في اليوم مع كل الفروق والاختلافات أعمالهم اليومية في وقت واحد، لكي يحققوا صحوتهم من جديد في كلمات تتردد بروعة على الشفاه، وفي سلسلة من الحركات التي توحد العظمة مع التواضع، على أن هذا مع ما هو عليه، ليس كل شيء[٢]: للتوحيد بين العظمة والتواضع تدور المسألة تماماً في ضروب التدين الأصولية الإنغليكانية الكارزماتية. فقط "ليس عبر الحدود كلها". في أشكال الدين المهيمنة والمنتشرة في أعظم حالاتها تدور المسألة حول التوحيد ما بين العظمة والتواضع

(١) المصدر السابق: ص ٦٦٤ وما بعدها.

(٢) نافيد كرماني: إنه من الأهم أن تكون إنساناً جيداً على أن تكون مسلماً جيداً، في جريدة زوريخ الجديدة ٥، ٧، ٢٠٠٦م.

الذي يتغذى على تنظيم الذات من خلال التمييز بين الخير والشر، المختارين والمنبوذين وتحجيم إمكانية المعصية والتطلع إلى الخطيئة. تبقى وجهة النظر غير متطورة في الاعتماد على التضامن الإنساني - وليس فقط على المشاركين في العقيدة - بسبب عدم إمكانية إزاحة الأخطار الكبرى في الوجود - البشري مثل الموت، والمرض والخطيئة. وهكذا يوجد بصورة متواصلة مركَّب من مجموعة أعراض مجتمعة بعضها مع بعض من حاجات العزاء وأشكال الحنين. ما دام الدين يستطيع أن يمنح هذه الأشياء القدرة على التعبير، فإنه لا يبقى مجرد عزاء، وأكثر من ذلك لا يبقى قليل الأهمية بسبب الدنيوية والعقلانية، ولكن ليس له حق الاحتكار. هنالك تقليد عاش طويلاً وهو أن الحدود بين الدين والفلسفة والفن ليست ثابتة، كلٌّ من الحقول الثلاثة له بسبب المقدرة الجامعة غير المحدودة في المبدأ، والتي هي خارج الحياة اليومية نفوذ كبير على صورة الذات وصورة العالم الإنساني، وبذلك على ماذا سنصنع بأنفسنا وبالعالم. وهي تستطيع أن تؤكد صحتها، من حيث أنها تسهم في تحديث مسؤول كلية ومتعدد الأوجه للعالم الإنساني.

الفهرس العام

أ

آسية: ١٦، ١٩، ٥٣، ١٧٦، ١٨٣
آسية القديمة: ١٦، ١٩، ١٢٨
آية الله الخميني: ١٤٤
ابن تيمية: ٨٤، ١٠٥
ابن خلدون: ٣١، ٣٢
الاتحاد السوفييتي: ٨٦
الإثنية: ٤٤، ١١٦
الاجتهاد: ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٩، ٤٢، ٦١، ١٢٦
أحداث ١١ أيلول: ١٤١، ١٤٢
الأحزاب الإسلامية: ٤٦، ٤٧، ١١٦
أحمد بن بلا: ١١٥
أحمد سحنون: ١١٥
أحمد يوسف: ١٠٨
الأخلاق الدينية: ٥٦، ٨٧، ١٧٨، ١٨٤
الأخلاقية الجنسية: ١٨٠
إدوارد سعيد: ١٥٢
أديان بديلة: ١٧١
الأديان التوحيدية: ١٩، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠
الأديان الجديدة: ١٧٢، ١٧٣، ١٩٢
أديان الشباب: ١٧٢
الأركيولوجية: ١٣
الإرهاب: ٧٨، ٨١، ١٣٢، ١٤٤، ١٦٦، ١٦٩
الأرواح: ١٥
أسامة بن لادن: ١١٧، ١١٩
أسترالية: ١٤، ١٩
الاستشراق: ١٥٢
الاستعمار: ٤٥، ٤٦، ٦٧، ٨٣، ٨٤، ١١٠
الاستعمار الأوربي: ٤٥، ٤٦

الاستغراب: ١٥٢
الاستلاب: ١٨١، ١٨٣
الأسرة: ١٨، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٩٢، ١٨٥
أسلوب الحكم: ٤٦
الاشتراكية: ٩٨، ١١٢، ١١٦، ١٦٨، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١
الاشتراكية العربية: ٩٨، ١٧٩
إصلاح النظام السياسي: ٨٩
الأصولية البروتستانتية: ١٧٧، ١٧٩
الأصولية الشيعية: ١٧٩
الأصولية العلمانية: ١٥٠
الأصولية الكارزماتية: ١٧٧، ١٨١
الأضرحة: ١٦
إعمال العقل: ٤٣، ١٤٣
الاغتيالات السياسية: ٩٠
إفريقية: ١٩، ٥٣، ١١٩، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٦
أفغانستان: ٨٦، ١١٧، ١١٨
افيشاي مارغاليت: ١٥٢
الإكليركية: ١٧٥
الإكليروس: ١٥٩، ١٧٥
الإلحاد: ١١٤
ألمانية: ١٤٢، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٦
إله المستقبل: ٢٤
الأمريكتين: ١٤، ١٩
الأمن الاجتماعي: ٣٢، ٣٤، ٦٥، ١٥١
الأمة: ٣٦، ٣٧، ٩١، ١١٤
أميل دوركايم: ٣١، ٣٢، ٦٩
الانتخابات: ٤٧، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٣٣، ١٤٥
الإنجازات العلمية: ٥٦، ٦٣
الإنغليكانية: ١٧٧، ١٨٣، ١٩٢
الانفتاح الاقتصادي: ٧٩، ٩٨
أوربة: ٢٩، ٤٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٩، ٦١، ٦٨، ٧٠، ٨١، ١١٩، ١٤٧، ١٥٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٤
أوربة الشرقية: ١٥٥
إيران: ١٠٥، ١١٣، ١٤١، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٣، ١٧٩، ١٨٧، ١٨٨
الإيمان المسيحي: ١٦١، ١٦٢

ب

البابا بنديكت السادس عشر: ١٦٠
الباكستان: ٨٣، ٩٦، ١٠٥، ١٧٠
برامج الإعلام: ٧٠
برنارد لويس: ١٦٩، ١٧٠
البروتستانتية: ١٢٦، ١٢٧، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٢، ١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٣
بلاد العرب قبل الإسلام: ١٧
البلدان العربية: ٨٩، ١١٨، ١١٩، ١٧٩
البنية التحتية: ٦٢، ١١١
البوذية: ١٧
بيرقراطية الدولة: ١٧٩

ت

التبشير المسيحي: ٨٠، ٨٨، ١٧٦
التجديد: ٦٥، ١٧٥
التحديث: ٤٩، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٩، ٨٣، ١١٤، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٣
التحيز: ٢٠، ٣١
التخلف: ٤٣، ٥٤، ٨٣، ١٢٩، ١٦٦، ١٨٥
التراث الديني: ١٩، ٥٨
تركية: ١٣٧، ١٦٦، ١٨٦
تروليتش: ٣١
التصنيع: ٦٨، ١١٢
التضحية: ٣٥
تطبيق الشريعة: ٦٣
التطرف الديني: ٤٤، ٧٢، ٧٥، ٧٧
التطهير القومي: ٨٠
تعدد الآلهة: ١٦، ١٧
التعددية الدينية: ١١٣، ١٤٧
التعددية السياسية: ١١٣، ١١٥، ١٧٦، ١٨٢
التفسير العقلي: ٥٠، ٦١
التفسير الغيبي: ٢٧، ٥٠
التقاليد: ٢٣، ٩٧، ١٥٨، ١٧٨، ١٨٦
التقدم: ٤٣، ٥٧، ٧٩، ٨٣، ١٢٩، ١٨٨، ١٩٠
التقدم العلمي: ٢٤، ٤٣، ٥٥، ٥٧، ١٢٩، ١٤٩
التقديس: ٢٤، ٢٥، ٤٣، ١٢٤، ١٢٥

تقليدية راديكالية: ١٧٨، ١٨٤
التكفير: ٢٢، ٣١، ٦١، ٦٣، ٧٥، ٩٥، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٥، ١٣٠
التمييز ضد المرأة: ١٥٩
التنصير: ٤٠
التنمية: ٦٣
التوراة: ٢٢، ٧٦

ث

الثقافة الليبرالية: ٦٩
الثواب والعقاب: ٣٣
الثورات العلمية: ١٨٩
الثورة: ٣٥، ٦٩، ٩٣، ٩٥، ٩٨، ١١٣، ١٢٦
الثورة العلمية: ٦٩
ثورة يوليو ١٩٥٢: ٩٣

ج

الجبهة الإسلامية للإنقاذ: ١١٣، ١١٦
جبهة القوى الاشتراكية: ١١٦
الجزائر: ٨٦، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٣٥، ١٣٦
الجماعات الإسلامية المتطرفة: ٧٥، ٧٧، ١٢٠، ١٣٢
الجماعات الأصولية: ٨٠، ٨١، ٨٢
الجماعات الدينية: ٧٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١٢٠، ١٣٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٧٤
جماعات العنف: ٧٥، ١٢٢
جماعة الإخوان المسلمين: ٨٢، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١٠٣، ١١١، ١٣٣
الجماعة الإسلامية: ٨٤، ١٠٧، ١٠٨، ١١٥
الجماعة الإسلامية المسلحة: ١١٥
جماعة التبليغ والدعوة: ١١٥
جماعة التكفير والهجرة: ١٠٤، ١١٥
جماعة التوقف والتبيين: ١٠٨
جماعة الشوقيين: ١٠٨
جماعة المسلمين: ١٠٤
جماعة الناجون من النار: ١٠٨
جمال عبد الناصر: ٩٨
الجنة: ٣٣، ١٢٣
الجنون: ١٥

الجهاد: ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩١، ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٨، ١١٩، ١٢١
جورج بوش: ١٦٩
جورج زمل: ١٩٠
جوزيف راتسينغر: ١٦٠

ح

الحاكمية: ٨٣، ٨٤، ٩٦، ٩٧
الحجاب: ١٦٤، ١٨٧
الحداثة: ٦٤، ٦٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٥، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٦٠، ١٦١، ١٦٩، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠
الحداثة التقنية العلمية: ١٨٠
الحرب العالمية الثانية: ١٥٨، ١٦٠، ١٦٨
حرب فلسطين: ٩٠
الحركات الأصولية: ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤
الحركات السرية: ٤٧
الحركات المتطرفة: ٤٧، ٦٣، ٧٣
الحركات المعارضة: ٨٥
الحركة الديمقراطية من أجل الجزائر: ١١٥
حركة المجاهدين الأفغان: ١١٧
حركة المجتمع الإسلامي: ١١٥
حركة النهضة الإسلامية: ١١٥
الحروب الأهلية: ٤٤
الحروب الدينية: ٢٣، ٤٤، ٥٤، ١٤٧
حرية التعبير: ٥٦، ١٢٢، ١٤٨
حرية التفكير: ٥٦، ٥٧
حزب الله: ٤٨، ١١٥
حزب التجمع الإسلامي: ١١٥
حزب التحرير الإسلامي: ١٠٣، ١٠٤، ١١٦
حزب جبهة التحرير: ١١٦
حسن البنا: ٨٤، ٩٠، ٩١، ١٠٩، ١٣٤
الحضارة الإسلامية: ٥٤، ٥٥، ١٤١
الحقيقة المطلقة: ٧٢
الحكم الديني: ١٤٤، ١٨٨
الحملات الانتخابية: ٧٠
حوار الأديان: ١٢٨
حوار الحضارات: ١٤١، ١٤٥، ١٥٢
حوض البحر الأبيض المتوسط: ١٤
الحياة السياسية: ٨٥، ١١٥

خ

الخصوصية الثقافية: ٧٩
الخلق: ١٤
الخوارج: ١٠٥

د

دانيال ليرنر: ٦٨
الدستور الإلهي: ١٨٢
الدنيوية: ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٨، ١٩٣
الدولة الإسلامية: ٦٣، ١٢١
الدولة الحديثة: ٧٦، ١٣٠
الدولة الدينية: ١٨٨
الدولة القطرية: ١٢٢
الديانة الهندوسية: ١٧
الديمقراطية: ٤٦، ١٠٣، ١١٥، ١٣٦، ١٦٨، ١٦٩

ر

رابطة الدعوة الإسلامية: ١١٥
الراديكالية: ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٤، ١٩٠
الرأسمالية: ١٢٦، ١٢٧، ١٤١
رجال الدين: ١٨، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٤٣، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٨، ٧٦، ٨٤، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٥، ١٥٨
الروح القدس: ٢١، ١٨١
الرئيس بومدين: ١١٢

ز

الزرادشتية: ١٤٦

س

سالم الرحال: ١٠٦
سقراط: ١٢٩
السلطات الدينية الرسمية: ٢٦
السلطة السياسية: ٥٢، ٧٣، ٨٢، ٩٠، ١٤٦
سلطة العقل: ٢٧
سلوك الاستهلاك: ٤٦
السنوسية: ٨١
سورية الكبرى: ١٤
السوق الليبرالية: ١٧٨
سيد قطب: ٨٤، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٥، ١٣٥، ١٣٦
سيرورات الاختلاف: ١٧٦

ش

شباب محمد: ١٠٢
شكري مصطفى: ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩
شيرين أمير معظمي: ١٨٥
الشيوعية: ٧٠، ١٥٥

ص

الصحوة الدينية: ٦٣
الصين: ١٤

ط

الطاوية: ١٧
طائفة الأحمدية: ١٦٨
الطائفة الدينية: ٢٢، ٦١، ٧٤، ١٦٨
الطبيعة البشرية: ٣١
الطقوس الدينية: ٢٦، ٤٢
طه السماوي: ١٠٨
الطوائف: ١٥٦، ١٧١

ظ

الظاهرة الاجتماعية: ٧١
الظاهرة الدينية: ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٩

ع

العادات: ٢٣، ٩٧
عباس مدني: ١١٣
عبد الله جاب الله: ١١٥
العرب الأفغان: ٨٦، ١١٨، ١١٩
العرق: ٨٠
العزوبة: ١٥٩، ١٦١
عزيز العظمة: ٥٨، ١٣٦
العصبية: ٣١، ٣٢
عصر التنوير: ٢٩، ٥٥، ٥٩، ٦٠
العصر الحديث: ٦٢، ١٥٣
عصور الانحطاط: ٥٠
العقل التواصلي: ١٤٣
العقلانية: ٧٦، ٧٩، ١٠٩، ١١٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٤، ١٩٣
العلاقات الجنسية: ١٥٩
علم الاجتماع: ١١، ٣١، ٦٩، ١٣٦، ١٣٧
علم الإناسة: ١٣، ١٦، ٢٥
علم اللاهوت: ١٣٥، ١٨١
علماء الشيعة: ١٤٤
العلمانية: ٤٩، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٩، ٨٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٧٦

علي بلحاج: ١١٣
علي شريعتي: ١٠٥
عمر عبد الرحمن: ١٠٧، ١٠٨، ١٣٥
العنصرية: ١٧٥، ١٧٦، ١٨٣
العنف: ٤٧، ٤٨، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٩١، ٩٢، ١٠٢، ١١٠، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٦٦، ١٧٨
العهد القديم: ٢٢، ٧٦
العولمة: ٢٣، ٦٣، ١٥٥، ١٦٧، ١٧٥، ١٨٣، ١٨٧
عيد عنصرة: ١٧٥، ١٨١

غ

الغرب المسيحي: ٥٧
غطاء الرأس: ١٧٧، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨

ف

فتاوى دينية: ٢٦
فردريك إنجلز: ٦٩
الفرق الدينية: ١٤، ١٩، ٢٣، ٦١، ١٠٣
فريدريك فلهلم الأول: ١٦٥
الفريضة الغائبة: ١٠٦
الفضائيات: ١٨
الفقر: ٤٣، ٨٩، ٩٥، ٩٦، ١٤٣
الفكر الخرافي: ٢٧، ٤٣
الفكرة الدينية: ٢٣، ٤٢، ٧٨، ٧٩
الفكرة القومية: ٩٨، ١٧٩

ق

القارة الأمريكية: ١٤
القاعدة: ١١٧، ١١٩، ١٢٠
القبيلة: ٣٦، ٣٧
القرآن: ٢٢، ٦٣، ٨٧، ١٠٤، ١١٤
القرابين: ١٦، ١٧
القرن التاسع عشر: ٨١، ٨٢، ١٨٩
القرن الرابع عشر: ٣١
القرن السابع عشر: ٣٠
القرن السادس عشر: ٣٠
القرن العشرون: ٢٨، ٤٦، ٥٧، ٧٩، ٨١، ٨٢، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٧، ١٩٠
القرون الوسطى: ٥١، ٥٢

القمع الاجتماعي: ١٨١، ١٨٥
القومية العربية: ٩٨، ١٣٢
القيم الدينية: ١٨، ٥٧، ٥٨

ك

الكاثوليكية: ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٥، ١٧٦
الكارزماتية: ١٧٦، ١٧٧، ١٨١، ١٨٣، ١٩٢
كارل ماركس: ٦٩، ١٨٩، ١٩٠
كبار الكهنة: ٥٢
الكتاب المقدس: ٢١، ١٧٥، ١٧٧
الكنيسة: ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٨، ٥٩، ١٤٩، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦
الكونفشيوسية: ١٧

م

المؤسسة الدينية: ٢٦، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦٩، ١٣١
ما بعد العلمانية: ١٤١، ١٤٢، ١٥٠، ١٥١
ما بعد الموت: ١٤، ٣٥
مارتن لوثر: ١٢٦
ماكس فيبر: ١٢٦، ١٤٢
مالينوسكي: ٣١
المجتمع الإقطاعي الأوربي: ٥٢
المجتمع الأهلي: ٤٦
المجتمع التقليدي: ٦٨
المجتمع الجاهلي: ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٥
المجتمع ما بعد الدنيوي: ١٥٠
المجتمع المدني: ٤٦، ٦٦، ١١٣
المجتمعات ما قبل الحديثة: ١٤٢، ١٤٩
المحطات الإذاعية: ١٨
محفوظ نحناح: ١١٥
محمد أنور السادات: ٩٨، ١٠٠، ١٠٧، ١٠٨، ١٣٧
محمد حسين الذهبي: ١٠٦
محمد خاتمي: ١٤١
محمد عبد السلام فرج: ١٠٦
مدارس دينية: ٢٦، ٨٧
المدينة: ١٤، ٣٦، ٣٧، ٤٩
المذهب الديني: ٢٢، ٢٣، ٧٣، ١٢٧، ١٤٧
مراكز حضرية: ٦٥
المستعمر الإنجليزي: ٨٥
المسيحية: ١٧، ٢٠، ٤٥، ٥١، ٧٦، ١٣٢، ١٤٦، ١٥٤،

١٥٥، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٧١، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٤
المسيحية البابوية: ١٦٢
المشاعر الدينية: ١٣، ٤٢، ٨٨، ١٣٠
مصر القديمة: ١٧
المصلحة الوطنية: ٩٠
المعتزلة: ٣٠
المعجزة الاقتصادية: ١٦٠
المعرفة العلمية: ٢٤، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٦١
المقدس: ٢١، ٢٥، ٣٠، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨
الملكية الاستبدادية: ١٤٤
المملكة العربية السعودية: ١٠٧، ١١٩
منظمات فلسطينية: ١٠٣
المهدية: ٨١
المواطنة: ١٨٦
الموت: ١٣، ١٤، ٣٥، ٩١، ١٢٣، ١٢٩، ١٥٧، ١٧٣، ١٩٣
المؤسسات الاجتماعية: ٥٧، ٦٥
المؤسسات التعليمية: ٤٥، ٨٤
المؤشرات الإمبيريقية: ٦٤
ميتافيزيقية: ١٢٧
ميثاق التنظيم الإسلامي: ١٦٩

ن

النازية: ٤٧، ١٥٥، ١٥٨
نافيد كرماني: ١٩٢
النخب الحاكمة: ٨٥
النسبية: ١٤٧، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٧
النصح والإرشاد: ٢٦
النصوص الدينية: ٢٥، ٢٧، ٣٥، ٤٣
النظام السياسي: ٢٤، ٤٦، ٦٢، ٨٩، ١٠٥، ١١٢، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤
نظام الشاه: ١٤٤
النظرة التطورية: ٢٤
نظرية التطور: ١٧٧
نقد الكتاب المقدس: ١٧٧
النيرفانا: ١٧٣

هـ

الهند: ١٤، ١٧، ١٦٨
الهوية الدينية: ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ١٥٤
الهوية الوطنية: ٤١

و

الوجود: ١٤، ٧٣، ١٥٠، ١٨٩، ١٩٣
وجود إله: ١٦، ١٧، ٣٣
الوحدة العربية: ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٧٩
الوحي: ٩٦، ١٥٣
وسائل الاتصال: ٨٢
وسائل الإعلام: ١٨، ٢٠، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٨١، ٩٩، ١٤٤
وسائل منع الحمل: ١٦١
الوصايا العشر: ١٨٢
الوطن: ٣٦، ٣٧، ٤١، ٨١، ٩٠، ١١١، ١١٦، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٤، ١٨٧
الولاء الطائفي: ٤٤
الوهابية: ٨١

ي

اليابان: ٨١
يان بوروما: ١٥٢
اليسار: ٩٨، ١٠٠، ١٤٤
يسوع: ١٦١
اليهودية: ١٧، ٢٠، ٤٥، ٧٦، ١٤٦، ١٧١
يورغن هابرماس: ١٤١، ١٦٩
اليونان: ١٧

تعاريف*

إعداد : محمد صهيب الشريف

ابن خلدون، عبد الرحمن **Ibn Khaldoun**

(١٣٣٢ - ١٤٠٦م) ولد في تونس، مؤرخ وفيلسوف، وعالم اجتماع ورجل دولة وسياسة عربي، درس المنطق والفلسفة والفقه والتاريخ، عين (وزيراً) للكتابة ثم سفيراً. ثم رحل إلى مصر ودرّس في الأزهر، وتولى قضاء المالكية فيه حتى وفاته. وابن خلدون عالم بعيد النظر دقيق الملاحظة ذو نزعة علمية متقدمة في أحكامه التاريخية. سبق علماء الغرب وفلاسفته في التأليف في فلسفة التاريخ. ويعده كثير من الأكاديميين المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع. لم يصلنا من مؤلفاته إلا «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر» ومقدمته (مقدمة ابن خلدون) وكتاب «شفاء السائل»، ووصفت بأنها خزانة علوم اجتماعية وسياسية واقتصادية وأدبية. والحقيقة أنها من أوائل المؤلفات التي تنهج في التصدي لمسألة تطور التاريخ البشري نهجاً علمياً قائماً على بحث العوامل الموضوعية لتقدم المجتمع الإنساني.

---

* تعاريف المصطلحات الواردة هنا ليست مطلقة المعنى، ذلك أن المؤلف يمكن أن يختار معنى محدداً للمصطلح يستعمله في كتابه، وإنما وضعنا ما وضعناه من تعريفات لمساعدة القارئ غير المختص على فهمٍ أفضل للنص.

الإثنية، الأقوامية **Ethnology**

مصطلح أدخله السويسري شافال على العلوم عام (١٧٨٧م) في مطلع القرن التاسع عشر، كانت الإثنولوجيا تعني علم تصنيف الأعراق، كما عنت ولفترة طويلة جميع الدراسات التي كان موضوعها حياة المجتمعات (البدائية)، غير الأوربية.

وهذا العلم يدرس المظاهر المادية والثقافية، لشعب من الشعوب، أو مجتمع من المجتمعات أو الأقوام البدائية، في مختلف الأمكنة والأزمنة، التي تبرز نتاج جهد الإنسان للسيطرة على البيئة الطبيعية.

أما اليوم فالاتجاه هو نحو استخدام كلمة الأنتروبولوجيا التي تشكل الإثنولوجيا جزءاً أو مرحلة من خطواتها.

الاستشراق **Orientalism**

تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث من أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يمثل إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، التي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته.

ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة، وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة؛ معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

الاستعمار، الاستعمارية، الكولونيالية **Colonialism**

نزوع الدولة الكبيرة إلى فرض سلطانها على البلدان الأخرى والاحتفاظ بسيطرتها عليها بمختلف الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية وذلك للحصول على كل المزايا الاقتصادية التي تطمع فيها الدولة المستعمرة، بشكل مجحف للإقليم الواقع تحت سيطرتها. والاستعمار يقوم على تشجيع رعايا الدولة على الهجرة إلى المستعمرات واستيطانها بغية تغيير هويتها السكانية، وربطها بالدولة الكبيرة ربطاً عضوياً، وهو ما يعرف بالاستعمار الاستيطاني ومن أبرز الأمثلة عليه استعمار الفرنسيين للجزائر.

الاشتراكية **Socialism**

نظام اجتماعي اقتصادي قائم على الملكية العامة لوسائل الإنتاج، وتبنى الاشتراكية على شكلين من الملكية: ملكية الدولة العامة والملكية التعاونية والجماعية. وتقتضي الملكية العامة انعدام وجود الطبقات المستغلة واستغلال الإنسان للإنسان، وتقتضي وجود التعاون بين العمال المشتركين في الإنتاج. وفي ظل الاشتراكية لا يوجد اضطهاد اجتماعي وعدم مساواة بين القوميات، كما لا يوجد تناقض بين المدينة والريف، وبين العمل الذهني والبدني.

الأصولية **Fundamentalism**

اصطلاح ديني من اليهودية أصلاً، استخدمه المسيحيون، ثم المسلمون.

والأصوليون في أي من هذه الديانات الثلاث هم الذين يرجعون في أحكامهم ومسائلهم الاجتهادية إلى الأصول، أي الكتب السماوية والمؤلفات المعتمدة ركائز ومصادر أولى.

ففي الإسلام مثلاً يُرجع إلى القرآن والسنة عند الأئمة الأربعة.

الإقطاع **Feudalism**

نظام اقتصادي اجتماعي ظهر إلى حيز الوجود بعد تفكك وسقوط نظام العبودية المشاعية البدائية، وقد وجد في جميع البلاد تقريباً. وكان الملاك الإقطاعيون والفلاحون الطبقتين الرئيسيتين في المجتمع الإقطاعي.

والطبقة الإقطاعية الحاكمة المستغلة تشمل النبلاء وكبار رجال الكنيسة وكانت طبقة الفلاحين المستغلة محرومة من كل الحقوق السياسية.

وكانت علاقات الإنتاج السائدة تقوم على أساس ملكية السيد الإقطاعي لوسائل الإنتاج والأرض والملكية غير الكاملة للعمال.

وشكل الدولة الإقطاعية كقاعدة كانت تتخذ الملكية المطلقة والإيديولوجية الدينية هي التي تسود الحياة الروحية للمجتمع.

إكليروس ـ الكهنوت **Clergy**

طائفة من الكهنة التي تقوم بخدمة الدين المسيحي، كما تدل الكلمة

على أحد أعضاء حزب سياسي يطالب بزيادة سلطة الإكليروس في الدولة، ويقال (النزعة الإكليروسية) للرأي أو النشاط السياسي الذي يدافع عن حق الكنيسة في الاشتراك في شؤون الحكم عن طريق الأحزاب أو الحركات السياسية.

إلحاد **Atheism**

إنكار وجود أي إله أو إنكار وجود إله مشخص والمعنى الأول أكثر شيوعاً. كذلك يرفض الإلحاد جميع الحجج التي يستند إليها المفكرون في التدليل على وجود الله.

إن كون المرء ملحداً معناه عدم التسليم بصحة أي من الأديان، وتتحدد درجة تطور الإلحاد بمستوى الإنتاج المادي والعلاقات الاجتماعية، وتتوقف على الطابع الاجتماعي السياسي للمجتمع، أما أساسه النظري فهو المادية والعلم.

الأمة **Nation**

جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد، وتجمعهم صفات موروثة، ومصالح وأماني واحدة، أو يجمعهم أمر واحد، من دين أو مكان، أو زمان.

والأمة الإسلامية تعني جميع من صدق برسالة النبي محمد ﷺ وآمن بها منذ البعثة إلى يوم القيامة . والصفة المشتركة بينهم هي الإيمان بالله، ورسله وكتبه واليوم الآخر، وملائكته، وقدره؛ خيره وشره. ولهم قبلة واحدة وهي الكعبة المشرفة.

أنتربولوجيا، الإناسة **Anthropology**

كلمة أنتربولوجيا أتت من الإغريقية و(أنتربوس) التي تعني الإنسان، ولوغوس التي تعني الخطاب أو العلم، فهي علم الإنسان.

هو العلم الذي يحاول أن يصل إلى معرفة القوانين التي تسود حياة الإنسان في المجتمعات الصناعية المعاصرة،كما في المجتمعات القديمة والتقليدية.

إيديولوجيا **Ideoligy**

من أعقد وأغنى المفاهيم الاجتماعية، يعتبر كارل مانهايم أن هناك صنفين من الإيديولوجيا: المفهوم الخاص والمفهوم الشامل.

فالإيديولوجيا بمعناها الخاص هي منظومة الأفكار التي تتجلى في كتابات مؤلف ما، تعكس نظرته لنفسه وللآخرين، بشكل مدرك أو بشكل غير مدرك. أما الإيديولوجيا بمعناها العام فهي منظومة الأفكار العامة السائدة في المجتمع.

البروتستانتية **Protestantism**

حركة دينية، نشأت عن حركة الإصلاح التي أسسها مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦م)، والاسم يستعمل للدلالة على معان كثيرة، لكنه بمعناه الواسع يطلق على الذين لا ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، أو إلى الكنيسة الشرقية الأورثوذكسية. وتنطوي البروتستانتية على أفكار تحريرية في الأمور الدنيوية والدينية. وكذلك في إعطاء الفرد حرية التقدير، والحكم على الأمور، وفي التسامح الديني، وهذا مضاد للتقليد وللسلطة الدينية. وروح البروتستانتية هي في مسؤولية الفرد تجاه الله وحده وليس تجاه الكنيسة. وإن الخلاص يتم عن طريق النعمة الإلهية فقط.

البوذية **Buddism**

هي ديانة ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية في القرن الخامس قبل الميلاد، كانت في بدايتها متوجهة إلى العناية بالإنسان كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير.

أسسها (سدهارتا جوتاما) الملقب ببوذا (٥٦٠/ ٤٨٠ ق. م) يعني المعتكف، وقد نشأ بوذا في بلدة على حدود نيبال في أسرة كان أميراً يعيش فيها حياة النعيم والترف. ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته منصرفاً إلى الزهد والتقشف والخشونة في المعيشة والتأمل، وعزم على أن يعمل على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات ثم دعى إلى تبني وجهة نظره حيث تبعه أناس كثيرون.

البيروقراطية (الدواوينية) **Bureaucracy**

عبارة عن تنظيم يقوم على السلطة الرسمية وعلى تقسيم العمل الإداري وظيفياً بين مستويات مختلفة وعلى الأوامر الرسمية التي تصدر من رئاسات إلى مرؤوسين. ويعد التنظيم البيروقراطي ترشيداً للعمل الإداري. وقد يدل المصطلح على الأداة الحكومية أو التنظيم الحكومي، كما قد يستخدم للتعبير عن سيطرة الموظفين دون مبالاة بمصالح الجماهير ودون مسؤولية أمامهم.

التجريبية (إمبريقية) **Empiricism**

تعاليم نظرية المعرفة التي تذهب إلى أن التجربة الحسية هي المصدر الوحيد، وتؤكد أن كل معرفة تقوم على أساس التجربة ويتم بلوغها عن طريق التجربة. والتجريبية المثالية (بركلي وهيوم، وماخ)، والتجريبية المنطقية الحديثة تقصر التجربة على المجموع الكلي للإحساسات أو الأفكار، منكرة أن التجربة تقوم على أساس من العلم الموضوعي. أما التجريبيون الماديون (فرانسيس بيكون، وهوبز، ولوك والماديون الفرنسيون في القرن الثامن عشر) فيعتقدون أن العالم الخارجي الموجود موضوعياً هو أصل التجربة الحسية.

وأوجه النقص في التجريبية هي: المبالغة الميتافيريقية في دور التجربة، والتقليل من أهمية دور التجريدات والنظريات العلمية في المعرفة، وإنكار الدور الإيجابي والاستقلال النسبي للفكر.

التحديث **Modernization**

يعود تاريخ عملية التحديث في الغرب إلى بدايات عصر النهضة، وقد زادت حدتها في بداية القرن التاسع عشر، ووصلت هذه المرحلة إلى نهايتها مع الحرب العالمية الأولى حيث تحولت المجتمعات الغربية من كونها مجتمعات زراعية إقطاعية إلى مجتمعات تجارية، وأخيراً إلى مجتمعات صناعية رأسمالية إمبريالية.

والتحديث هو عملية تعديل البيئة الاجتماعية والرؤية المعرفية والأخلاقية بحيث يُخضع الواقع بأسره للقواعد والإجراءات العامة غير الشخصية ويزداد التحكم فيه، فتستبعد كل المطلقات، وتصفى كل الثنائيات .

ويصبح مصدر المعرفة هو العقل، وما يصله من معطيات من خلال الحواس.

وينتج عن ذلك أن الشخصية التقليدية تتحول إلى المواطن الحديث القادر على الاستجابة للقانون العام، والذي لايدين بالولاء إلا للدولة أو الوطن. كما أن البيئة الاجتماعية تسيطر عليها مؤسسات الدولة التي تحل محل المؤسسات التقليدية مثل الكنيسة أو الأسرة.

ويصاحب هذه العملية نمو الديمقراطية وانتشار التعليم، وزيادة الإبداع والحراك الاجتماعي، ونزع القداسة عن الأفراد والرموز، وتزايد تكيف المرء مع القيم والمخترعات الجديدة، وتعاظم دور الإعلام.

التعددية Pluralism

يستعمل المصطلح أحياناً لوصف مجتمع مكون من طائفة مجموعات مختلفة (عرقية أو دينية.. إلخ)، واكتسب المصطلح معاني أكثر دقة في علم السياسة. ويستعمل مصطلح التعددية غالباً في نمط معياري أو مقرر. والتعددي شخص يؤمن بأنه ينبغي مشاطرة السلطة بين المجموعات والمصالح المختلفة في المجتمع، وإن القرارات السياسية ينبغي أن تمثل المساومة المتدفقة تدفقاً حراً والتوفيقات بين مثل هذه المجموعات.

التقدم Progress

الحركة التي تسير نحو الأهداف المنشودة والمقبولة أو الأهداف الموضوعية التي تنشد خيراً، وتنتهي إلى نفع، وينطوي التقدم على مراحل تكون كل مرحلة من مراحله أكثر ازدهاراً وأرقى من المرحلة السابقة، كما تشير الكلمة إلى انتقال المجتمع البشري إلى مستوى أعلى من حيث الثقافة، والقدرة الإنتاجية، والسيطرة على الطبيعة.

التنمية Development

تعني الكلمة عموماً التوسع أو النمو أو التحسن في الملك أو الأوضاع.

وهي سياسة تلجأ إليها الدولة للتخلص من التبعية الاقتصادية، والنهوض في كافة القطاعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة، وذلك بتحسين

نوعية الإنتاج وارتفاع مستوى الدخل، والتنمية تتطلب توجيه مجمل الموارد المادية والبشرية نحو زيادة مجمل الإنتاج القومي. والتنمية تعني بالدرجة الأولى التنمية الاقتصادية التي تؤدي بالضرورة إلى التنمية الاجتماعية الشاملة.

ولكي تتحقق التنمية للدول فإن ذلك يعتمد على عدة عوامل منها التخطيط الاقتصادي السليم، وتكوين رؤوس الأموال العينية بتشجيع الادخار الحكومي، ومتابعة التقدم التقني.

الثورة **Revolution**

في اللغة اضطراب وهيجان شائع، وفي الاصطلاح تغيير جوهري في نظام الدولة من شأنه استبدال طبقة من الحكام بطبقة أخرى، وما لم يكن التغيير إيديولوجياً شاملاً لكل نواحي النشاط الإنساني في المجتمع، فالأحرى أن يطلق عليه انقلاب أو انتفاضة.

والثورة بالمعنى الفلسفي نقصد بها التغيير الجذري الشامل في شأن من الشؤون، كأن تقول ثورة التكنولوجيا، ثورة الاتصال، أو ثورة المعلوماتية، واسم الثورة بالمعنى الحالي جديد على اللغة العربية ابتدأ من القرن الثامن عشر. وقبلها كان الاسم الشائع الفتنة أو الخروج.

الحداثة **Modernism**

هي ظاهرة غربية انطلقت من أوربا مع الثورة الفرنسية (١٧٨٩)م، وعنت التغير في النظام السياسي من النظام الملكي إلى الديمقراطي الذي يقوم على سلطة الشعب والمجالس الممثلة للشعب، واعتماد الليبرالية نظاماً اقتصادياً، والمساواة بين الجنسين على الصعيد الاجتماعي. وإلزامية التعليم للأطفال والانتقال من نموذج الجماعات والطوائف الدينية المتحاربة إلى المواطن لا ابن الطائفة أو الدين. وتذويب الطوائف والأديان في بوتقة مدنية علمانية واحدة لا تمييز فيها على أساس عرقي أو ديني أو عملي وبهذا تكون علاقة المواطن بالدولة لا بسلطة أخرى.

الخوارج **AL Khawarij**

فرقةٌ من المسلمين، خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، بسبب قبوله التحكيم، وخذلوه في موقعة صفين، وكان على رأسهم الأشعث، وزيد بن حصين، ومسعود بن فدكي وغيرهم.

وتبنت هذه الفرقة منهجاً قائماً، في تأويل نصوص الكتاب والسنة، أدَّاهم إلى سفك دماء عدد من كبار الصحابة، الذين قبلوا التحكيم، وعلى رأسهم أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب نفسه، وينسب إلى هؤلاء إنكار الإجماع عقلاً وإمكانيَّة ووقوعاً.

الدولة **State**

المقصود هنا المعنى السياسي للفظ، فالدولة مجتمع منظم يعيش على إقليم معين ويخضع لسيطرة هيئة حاكمة ذات سيادة ويتمتع بشخصية معنوية متميزة عن المجتمعات الأخرى المماثلة.

وتربط بين أفراد الدول رابطة سياسية قانونية من حيث أنها تفرض عليهم الولاء لها والخضوع لقوانينها. كما تفرض على الدولة حماية أرواحهم وأموالهم وكافة حقوقهم التي يقرّها لهم القانون الطبيعي والقوانين الوضعية.

الديكتاتورية **Dictatorship**

تركيز السلطات في يد فرد واحد دون الاستناد إلى قوانين معينة، ويخضع له المحكومون بدافع الخوف، ويمارس الحكم الديكتاتوري عادة لصالح جماعة محدودة. ويحاول الديكتاتوريون المحدثون صبغ حكمهم بصبغة دستورية يعتمدون على حزب رسمي وشرطة سرية ودعاية واسعة.

الديمقراطية، حكومة الشعب **Democracy**

معناها الحرفي هو حكومة الشعب، وهي بمدلولها العام تتسع لكل مذهب سياسي يقوم على حكم الشعب لنفسه، باختياره الحر لحكامه، وبخاصة القائمين منهم بالتشريع، ثم برقابتهم بعد اختيارهم. ولما كان إجماع الشعب مستحيلاً، وبخاصة في أمور السياسة والحكم، فإن حكومة الشعب قد

أصبحت تعني عملياً حكومة الأغلبية، كنظام متميز عن نظام الحكم الفردي ونظام حكومة الأقلية.

الرأسمالية **Capitalism**

هي النظام الاقتصادي الاجتماعي الذي حل محل الإقطاع، ويقوم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، واستغلال العمل المأجور، واستخلاص فائض القيمة هو القانون الأساسي للإنتاج الرأسمالي.

نشأت الرأسمالية في القرن السادس عشر، ولعبت دوراً في تطور المجتمع، فحققت إنتاجية عمل أعلى بكثير بالمقارنة بالإقطاع.

ودخلت الرأسمالية في مستهل القرن العشرين أعلى مراحلها مرحلة الإمبريالية الاحتكارية التي تتميز بسيطرة الاحتكارات وتحكم الأقلية المالية، وتنضم قوة الاحتكارات إلى قوة الدولة، وتزيد من النزعة العسكرية على نطاق لم يسبق له مثيل.

الشيوعية **Communism**

أسس هذا المذهب كارل ماركس وفردريك إنجلز، والشيوعية هي من الأجزاء المكونة للماركسية.

وموضوع بحث الشيوعية هو القوانين التي تحكم ميلاد وتطور النظام الاقتصادي الاجتماعي الشيوعي.

وتحدد أهمية تطور العمل الاشتراكي إلى العمل الشيوعي والمحو الكامل للفروق الطبقية، ومحو الفروق في الثقافة، والتقريب على نحو أكبر بين الأمم والثقافات القومية والتقدم نحو التجانس الاجتماعي.

العرقية **Racism**

الاعتقاد بأن العرق هو العامل الأكثر فعالية في تقرير السمات والمواهب البشرية، وأن الفروق العرقية تولد امتيازاً فطرياً عند عرق بعينه، عرفها الإنسان منذ القدم، وأخذ بها كثير من الأمم، وتمثلت بخاصة في نظرة أبناء العرق الأبيض إلى أبناء العرق الأسود نظرة ازدراء بالغ.

ويرى الباحثون أن العرقية كنظرية في السلوك واسعة الانتشار، لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر، الذي يعدّ عصر العرقية بمعناها العلمي، وما إن انتصف ذلك القرن حتى صارت العرقية في كثير من الأوساط العلمية الغربية حقيقة لا مراء فيها.

وسرعان ماانعكست آثار هذه الحقيقة في آثار: رديارد كبلنغ، وألفرد روزنبرغ، وأدولف هتلر، وغيرهم.

وتعدّ النازية ومعها الصهيونية أحد أشكال العرقية ومظاهرها في العصر الحديث.

العصبية **Asabiya**

هي رابطة الدم والدين التي تربط بين أفراد قبيلة فيتميزون بها عن سواهم من القبائل، أو بين أفراد عشيرة فيتميزون بها عن سائر العشائر. وميزة العصبية أنها توحد نظرة القبيلة أو العشيرة ضمن نطاق واحد. كما أنها توحد جهود وممارسات أفراد القبيلة أو العشيرة ضمن إطار واحد، وتجعلهم يعملون في الاتجاه نفسه ويفهمون الأمور من منظار واحد أيضاً.

عصر التنوير **Enlightenment Peried**

ظهر في القرن الثامن عشر في فرنسا وألمانيا اتجاه سياسي واجتماعي حاول ممثلوه أن يصححوا نقائص المجتمع القائم، وأن يغيروا أخلاقياته وأساليبه وسياسته وأسلوبه في الحياة، بنشر آراء في الخير والعدالة والمعرفة العلمية. ويكمن في أساس التنوير الزعم المثالي بأن الوعي يلعب الدور الحاسم في تطور المجتمع والرغبة في نسبة الخطايا الاجتماعية إلى جهل الناس وافتقادهم إلى ثقتهم بطبيعتهم. ولم يكن مفكرو التنوير يضعون في اعتبارهم الدلالة الحاسمة للشروط الاقتصادية للتطور، ومن ثم لايستطيعون كشف القوانين الموضوعية للمجتمع. وكان مفكرو التنوير يوجهون مواعظهم إلى جميع طبقات المجتمع، ولكنهم كانوا يوجهونها في الأساس إلى أولئك الممسكين بالسلطة، وكان التنوير ينتشر في فترة الإعداد للثورات البورجوازية ومن مفكري التنوير (فولتير وروسو، ومونتسكيو، وهيردر وليسنج

وشيلروغوته). وقد ساعد نشاطهم بقدر كبير على التغلب على نفوذ الإيديولوجية الكنسية والإقطاعية ومناهج التفكير المدرسية (السكولائية)، ومارس التنوير تأثيراً كبيراً على تكوين النظرة العامة الاجتماعية للقرن الثامن عشر.

العقلانية **Rationalism**

أسلوب في التفكير والتفلسف، يقوم على العقل، وهي تعني قدرة الإنسان، في حياته اليومية وممارسته المعرفية، على المحاكمة الواعية، بعيداً قدر الإمكان عن تسلط المشاعر والعواطف، وعلى وزن كافة الاعتبارات لصالح أو ضد الاختيار المعني، وعلى السعي لتعليل أقواله وتصرفاته.

العلمانية **Secularism**

في اللاتينية تعني العالم أو الدنيا، ثم استعمل المصطلح من قبل مفكري عصر التنوير بمعنى (المصادرة الشرعية لممتلكات الكنيسة لصالح الدولة) ثم تم تبسيط التعريف ليصبح (فصل الدين عن الدولة) ولقد تطور المعنى ليصبح أكثر شمولاً، فالعلمانية هي (العقيدة التي تذهب إلى أن الأخلاق لابد من أن تكون لمصالح البشر في هذه الحياة الدنيا، واستبعاد كل الاعتبارات الأخرى المستمدة من الإيمان بالإله أو الحياة الآخرة).

والعلمنة هي تحويل المؤسسات الدينية وممتلكاتها إلى ملكية علمانية، وإلى خدمة الأمور الزمنية.

العولمة **Globalization**

العولمة أو الكوكبة هي مذهب القائلين بأن الرأسمالية هي ديانة الإنسانية، وأن النسبية الفكرية ستكون لها الغلبة على المطلقات الأيديولوجية، وأن مبدأ النسبية الثقافية هو المعول عليه، وليس مبدأ مركزية الثقافات، وأن العالم ينتقل حالياً ونهائياً من الشمولية والسلطوية إلى الديمقراطية والتعددية، وتشمله ثورة معلوماتية تنتشر في كل مكان، من شأنها إلغاء الحدود بين الدول بحيث يصبح من السهل انتقال الناس والمعلومات والسّلع على نطاق العالم كله،

ويتم ذلك من خلال التفاعل بالحوار والمنافسة والمحاكاة. والعولمة هي رسملة العالم، وتتم السيطرة عليه في ظل هيمنة دول المركز وسيادة النظام العالمي الواحد، وبذلك تتهافت الدول القومية، وتضعف فكرة السيادة الوطنية، ويؤول الأرفع ثقافة إلى صياغة ثقافية عالمية واحدة تضمحل إلى جوارها الخصوصيات الثقافية.

ويبدو أن النمط السائد هو العولمة الأمريكية، بمعنى أمركة العالم وسيادة الأيديولوجية الأمريكية على غيرها من الأيديولوجيات، وكانت بداية ظهور العولمة نشأة اليوروماركت ودولار ماركت، وإلغاء القيود المصرفية، وتحرير سعر الفائدة، وإدماج أسواق المال المحلية في الأسواق المالية والعالمية، ودخول نمط التصنيع للتصدير، وظهور اقتصاديات المشاريع الكبيرة، وانتقال رأس المال والتكنولوجيا، ويتطلب بذلك استثمارات ضخمة في التعليم وتنمية الموارد البشرية والبنية التحتية. ولا شك أن للعولمة آثارها السلبية، تتمثل في إضعاف الشعور بالمواطنة، وظهور ولاءات أوسع من نطاق الدولة، دونما اعتبار للحدود القومية، واختفاء الدولة القومية، والهويات العرقية، وترسيخ الانقسامات والتشرذم والتباين في الدول المختلفة وسيادة الفوضى عالمياً فيما يطلق عليه اسم المواطنة العالمية. والعولمة غير العالمية (Univarsalism) التي تعني الانفتاح على العالم، وإقرار التباين بين الثقافات والحضارات، ووسيلة العالمية الحوار بين الحضارات، أما وسيلة العولمة فهي الصدام والصراع بين الحضارات، والعولمة غزو ثقافي، واختراق للثقافات القومية، وإعدام للهوية الوطنية القومية بينما العالمية إثراء لهذه الثقافات تلاقحها حضارياً وعلمياً وتقنياً، وترسيخ الهويات. وتقوم العالمية على المساواة والندية بينما العولمة تقوم على التبعية للهيمنة والتطبيع والغزو. وربط الناس برباط عولمي من اللاوطنية واللاقومية واللادينية واللادولة وسيكون الخاسر الدول النامية.

القروسطية **Medieralism**

هي فترة انتشار الإقطاع في أوربا، من القرن (٥ . ١٥م) وما رافقه من سيادة اتجاه فكري، ترتبط اتّجاهاته الرئيسية بخصوصيات المجتمع الإقطاعي،

اقتصادياً واجتماعياً وإيديولوجياً، ولاسيما بهيمنة الكنيسة على كافة مجالات الحياة الروحية.

القومية **Nationalism**

مبدأ إيديولوجي وسياسي ينعكس في أفكار وتصورات، تجعل من حبّ الوطن القيمة الاجتماعية الأساسية، وتعمل على زيادة ولاء الفرد للوطن، وتنطوي القومية على الشعور بالمصير والأهداف والمسؤوليات المشتركة لجميع المواطنين.

الكاثوليكية **Catholicism**

إحدى الملل المسيحية، تنتشر أساساً في أوربا الغربية وأمريكا اللاتينية وهي موجودة منذ عام ١٠٥٤م، والجوانب المذهبية للكاثوليكية هي: الاعتراف بتكوين الروح القدس لا من الله الأب وحده وإنما الله الأب والابن، وعقيدة المطهر مكان تطهير النفس بعد الموت ويقع بين الجنة والنار، ورفعة البابا باعتباره وكيل يسوع المسيح على الأرض، وعصمة البابا عن الخطأ إلخ..

أما جوانب العبادة والشريعة المميزة للكاثوليكية فهي عزوبة القسيس، والصلاة باللاتينية وعبادة العذراء المقدسة...إلخ. والفاتيكان هو المركز العالمي للكاثوليكية.

الكونفوشيوسية **Confucianism**

نسبة إلى كونفوشيوس (كونغ فوتزو)، الذي عاش في الصين (٥٥١ ـ ٤٧٩ ق.م)، وكان معلّماً ومفكّراً، أعاد تحديد الأفكار الأساسية في الحياة والفكر الصيني. ولقد أسهم في تأكيد مطابقة السياسة والقواعد الخلقية، حيث كان يعتقد أن الحكومة لديها مسؤولية أخلاقية، وليس فقط مجرد ممارسة السلطة.

اللاهوت **Theology**

علم العقائد، يرتبها ويصوغها في قالب علمي لتكون مركباً محكماً في ضوء العقل والوحي. ويبحث عن الوجود المطلق، وقد تكون مقدساً ويستند

إلى كلمة الله المحفوظة في الكتب المقدسة، أو طبيعياً ويستند في إثبات وجود الله إلى النظام السائد في العالم الطبيعي.

الليبرالية، التحررية، المذهب الفردي **Liberalism**

التحررية الاقتصادية تؤكد الحرية الفردية، وتقوم على المنافسة الحرة، أي ترك الأفراد يعملون ويربحون كما يريدون، وفي ذلك الصالح الخاص الفردي يتحقق الصالح العام.

وقد نشأت التحررية وتوسعت مع نشأة الرأسمالية، للتعبير عن الحرية الفردية. والتحررية السياسية نظام سياسي يقوم على أساس قيام الدولة بالوظائف الضرورية في حياة المجتمع، وترك نواحي النشاط الأخرى للحافز الفردي. كما تتميز الدولة التي تتبع هذا النظام بقيامها بوظيفة الحكم بين مختلف الفئات وبالمحافظة على النظام.

المجتمع المدني **Civil Society**

انطلقت هذه الكلمة مع أرسطو وراجت عند المنظرين السياسيين الغربيين حتى القرن الثامن عشر بمعنى مجتمع المواطنين الذين لا تربطهم علاقات استزلام بعائلات أو عشائر سياسية.

بعدها فصل هيغل مفهوم المجتمع المدني عن مفهوم الدولة، وتبعه في هذه الخطوة الماركسيون الذين رأوا في المجتمع المدني طرفاً مختلفاً عن الدولة ومناقضاً لها في توجهاته السياسية.

أما اليوم فإن المجتمع المدني يعني، طوباوياً، جميع القوى الشعبية، والبرجوازية التي لا تجد في الدولة الراهنة الحريات وتفتح الطاقات التي تصبو إليها، فالمجتمع المدني مناهض ومعارض للدولة التي يتهمها بالهرم والتحجر، وخاصة في الدول الغربية.

المسيحية، النصرانية **Christianity**

أسست الديانة على تعاليم يسوع المسيح، كتابها (الكتاب المقدس) بقسميه (العهد القديم) و (العهد الجديد) يؤمن النصارى بأن السيد المسيح هو

الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس (الأب والابن والروح القدس) وكلمة الله المتجسد من مريم العذراء لخلاص العالم.

ظهرت النصرانية إلى الوجود حوالي عام ٣٠ بعد الميلاد عندما راح رسل المسيح يبشرون بقيامته وإنجيله، وكان يسوع قد جعل من الفكرة اليهودية القائلة بمملكة الله محوراً لتعاليمه، ولكنه أعطى الفكرة معنى روحياً وكونياً جديداً. وأعظم هؤلاء الرسل بولس الذي يعتبر مؤسس اللاهوت المسيحي. وبعد فترة من الاضطهاد ثبتت النصرانية قدميها في الإمبراطورية الرومانية.

وفي عام (١٠٥٤) تم الانشقاق التاريخي الذي جعل من المسيحية كنيستين منفصلتين: غربية كاثوليكية في روما، وشرقية أورثوذكسية في القسطنطينية. وبعد ذلك وقع الانشقاق الآخر في نطاق الكنيسة الكاثوليكية نفسها (١٣٧٨ - ١٤١٧م) وفي أوائل القرن السادس عشر أدى الإصلاح الديني إلى ظهور الكنيسة البروتستانتية.

يقدر عدد المسحيين في العالم بأكثر من بليون (مليار) نسمة.

المعتزلة **Mu'tazila, Rationalists**

فرقة كلامية إسلامية، ظهرت في أخريات القرن الأول الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول. يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، لقول واصل بأن مرتكب الكبيرة ليس كافراً ولا مؤمناً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، خلافاً لقول الخوارج أن مرتكب الكبيرة كافر، ولقول المرجئة أن مرتكب الكبيرة مؤمن ولكنه فاسق. ولهذه الفرقة مدرستان رئيسيتان: إحداهما بالبصرة. ومن أشهر رجالها: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وأبو هذيل، وإبراهيم النظام، والجاحظ، والأخرى ببغداد. ومن أشهر رجالها: بشر بن المعتمر، وأبو موسى المردار وثمامة بن الأشرس.

رفضوا الوظائف الإدارية ليتفرغوا للبحث والمناظرة، ثم انغمسوا في السياسة. وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم، وأهمها العدل والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المقدس **Sacred**

المعزول لغرض مقدس أو الممتاز بنوعية خاصة مستمدة من العلاقة بالرب أو برب. وكلمة مقدس أو قدس تستعملان أحياناً مترادفتين، ومفهوم المقدس يتعارض مع الدنس (profame) التي تعني خارج المعبد.

والأشياء المقدسة والأماكن المقدسة والأحداث والأعمال والأشخاص والمجتمعات وحتى الحياة ككل قد تكون مقدسة، مع أنه بالنسبة إلى بعض الأديان يتعلق الأمر بالمعنى البدائي فقط. أي بالأشياء أو الشيء المتعلق بالعبادة.

الملكية **Property**

تعني الكلمة بمفهومها الضيق حق الفرد المطلق وغير المقيد في الأشياء الخاصة به سواء أكانت أرضاً أو أمتعة شخصية، وفي الوقت الحاضر، أصبحت الكلمة تعني الأشياء المملوكة نفسها، لا الحق في امتلاكها.

الميتافيزيقا (ماوراء الطبيعة، أو الغيب) **Metaphysics**

علم ما وراء الطبيعة، وهي تدرس المبادئ العليا لكل ماهو موجود، والتي لاتبلغها الحواس، ولا يستوعبها إلا العقل المتأمل. لكن في العصر الحديث فهمت الميتافيزيقا على أنها منهج غير جدلي في التفكير، نظراً لما تتميز به من أحادية الجانب وذاتية في المعرفة.

النازية **Nazism**

كلمة نازي مأخوذة بالاختصار والتصرف من العبارة الألمانية (NSDAP) National Sozialistishe Dentsche Arbeiter Partei أي الاشتراكية القومية، وهي حركة عرقية داروينية شمولية، قادها هتلر وهيمنت على مقاليد الحكم في ألمانيا، وعلى المجتمع الألماني بأسره، والحركة النازية هي حركة سياسية وفكرية، ضمن حركات سياسية فكرية أخرى تحمل السمات نفسها ظهرت داخل التشكيل الحضاري الغربي بعد الحرب العالمية الأولى.

السمة الأساسية للنازية هي علمانيتها الشاملة وواحديتها المادية الصارمة.

وآمن النازيون بفكرة الدولة باعتبارها مطلقاً متجاوزاً للخير والشر. وتبنت النظرية العرقية الداروينية الغربية، وأكدت التفوق العرقي للشعب الألماني على كل شعوب أوربا وشعوب العالم.

تتضح مادية النازيين في إنكارهم للطبيعة البشرية وثباتها فكل شيء من منظورهم خاضع للتغير والحوسلة.

النخبة، الأقلية الحاكمة **Elite**

جماعة أو نخبة من الأفراد يعترف بعظمتها في التأثير والسيطرة على شؤون المجتمع. إن أول من كتب حول موضوع النخبة أو الأقلية الحاكمة العلماء (بارتيوا وموسكا وميتشل) الذين قالوا إن النخبة هي الطبقة الحاكمة التي تشكل الأقلية من أبناء الشعب. وهذه الطبقة يمكن تمييزها عن الطبقة المحكومة في معيار القوة والسلطة، حيث إنها تتمتع بسلطان القوة والنفوذ والتأثير أكثر مما تتمتع به الطبقة المحكومة في المجتمع.

النسبية **Relativism**

هي الرأي الذي يقول بأن الحقيقة نسبية وتختلف من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى ومن وقت إلى آخر وليس لها معايير موضوعية.

وعليه، فإن كل مدرك نسبي، ويقابلنا في التحليل العلمي عنصر النسبية والحتمية.

الهندوسية **Hinduism**

ديانة الهند الرئيسية، يدين بها الهندوس المنتشرون في الهند في المقام الأول وفي بعض أجزاء من (باكستان وبنغلادش وسري لانكا ونيبال) وقوامها الإيمان بالتناسخ وبكائن أسمى ذي أشكال، وطبائع متعددة، والقول بأن المفاهيم المتعارضة ليست غير مظاهر لحقيقة أزلية واحدة، والدعوة إلى التحرر من الشرور الدنيوية. والهندوسية من الأديان التي تعتنق الحياة كلها، ومن هنا كانت لها مظاهرها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والفنية والأدبية. وقد نشأت من الفيدية أو الفيداوية.

الهوية **Identity**

عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره أي تحديد حالته الشخصية، ومن السمات التي تميز الأفراد بعضهم عن بعض: الاسم والجنسية والسن والحالة العائلية والمهنة إلخ...

وتنص القوانين عادة على إثبات صفة الفرد بمقتضى بطاقة شخصية، وتساعد هذه البطاقة الفرد على تسهيل معاملاته المختلفة مع الجهات التي تطالب بإثبات شخصيته.

أما مبدأ الهوية المقصود به أن الموجود هو ذاته أو هو ما هو. ويهيمن هذا المبدأ على الأحكام والاستدلالات الموجبة، ومن شأنه أن يجعلنا نحرص على ألا نخلط بين الشيء، وما عداه، وألّا نضيف للشيء ما ليس له.

الوحي **Revelation, Divine inspiration**

إلقاء المعنى في النفس في خفاء، ولا يجوز أن تُطلق الصفة بالوحي إلا لنبي. وقيل أصله الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل أمرٌ وحيٌ؛ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، ويكون بصوت مجرد من التركيب، وبإشارة بعض الجوارح، وبالكتابة، وغير ذلك.

ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه: وحي، وذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل في صورة معينة، وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلامه تعالى، وإما بإلقاء في الروع، أو بإلهام، وإما بتسخير، وإما بمنام.

الوهابية

دعوة إسلامية أسسها محمد بن عبد الوهاب في نجد، في القرن الثامن عشر، وتبنتها الأسرة السعودية عام (١٧٤٤) للميلاد. قوامها الأخذ بصريح الكتاب والسنة، واطراح كل ما ليس له أصل فيهما بوصفه بدعة من البدع. ويعتبر كتاب (التوحيد) لمحمد بن عبد الوهاب: المرجع الأول لدراستها وفهمها.

اليهودية **Judaism**

أقدم الأديان السماوية، تعاليمها مدونة في (العهد القديم) من الكتاب المقدس وفي التلمود. وأساسها الإيمان بإله واحد، وبأن اليهود هم شعب الله المختار المتحدر من أبي الأنبياء إبراهيم الخليل، وبأن الله أنزل شريعته على موسى، ليقود هذا الشعب على مقتضاها، واليهود ينتظرون مجيء المسيح يحكمهم ويحكم العالم. واليهودية الحديثة تنقسم إلى أرثوذكسية ويهودية إصلاحية.